

نؤمن بالله

مدى اختلاف الله

الدرس
الثاني



خدمات الألفية

الثالثة

تعليمٌ كتابيٌّ. للعالم. مجاناً.

كافة حقوق الطبع والنشر محفوظة. ولا يجوز نسخ أي جزء من هذا المنشور بأي شكل أو وسيلة بغاية الربح، باستثناء اقتباسات مختصرة بغرض المراجعة، أو التعليق، أو البحث العلمي، دون إذن خطي من الناشر، خدمات الألفية الثالثة على العنوان البريدي:

Third Millennium Ministries, Inc., 316 Live Oaks Blvd., Casselberry, Florida 32707.

اقتباسات النصوص الكتابية مأخوذة من ترجمة البستاني - فاندايك، إلا إذا أُشير إلى غير ذلك.

حول خدمات الألفية الثالثة

تأسست خدمات الألفية الثالثة سنة ١٩٩٧، وهي مؤسسة مسيحية لا تهدف للربح ومكرّسة لتقديم تعليمًا كتابيًا. للعالم مجاناً. تلبيةً لحاجة العالم المتزايدة لتدريب مسيحيّ للقادة يستند إلى الكتاب المقدّس، ننتج منهاجاً لاهوتياً سهل الاستخدام، مدعوماً بالتبرعات، وذو وسائل إعلامية متعددة في خمس لغات رئيسية وهي (الإنجليزية، والإسبانية، والروسية، والماندرين الصينية، والعربية). ونوزّع هذا المنهاج مجاناً لمن هم في أشد الحاجة إليه، في المقام الأول على القادة المسيحيين الذين لا يستطيعون الحصول على الدراسة التقليدية، أو ليس بمقدورهم تحمّل نفقاتها. تُكتب كل الدروس وتُصمّم وتُنتج في مؤسستنا، وتتشابه في الأسلوب والنوعية لما تجده على قناة التاريخ (History Channel). لقد برهنت هذه الطريقة الفريدة، والفعّالة من حيث تكلفتها، لتدريب القادة المسيحيين على فاعليتها في كل العالم. وقد ربحنا جائزة تيلي للإنتاج المتميز للفيديو في مجال التعليم واستخدام الرسوم المتحركة. يُستخدم منهاجنا اليوم في ١٥٠ دولة. وتُنتج مواد الألفية الثالثة في شكل اسطوانات مدمجة (DVD) ومطبوعات، وبث على الإنترنت، وعن طريق محطات التلفزيون الفضائية وكذلك البث الإذاعي (الراديو) والتلفزيوني.

للمزيد من المعلومات عن خدمتنا وكيف يمكنك المشاركة نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت

<http://arabic.thirdmill.org>

المحتويات

I . المقدمة

II . التحديد

أ. الأساس الكتابي

ب. التنوع اللاهوتي

١. إقرار إيمان أوجسبرج

٢. إقرار الإيمان البلجيكي

٣. دليل أسئلة وأجوبة وستمنستر الموجز

ج. وجهات النظر الكتابية

١. التسامي الإلهي

٢. القرب الإلهي

III . الدمج

أ. الأساس الكتابي

ب. التنوع اللاهوتي

١. إقرار إيمان أوجسبرج

٢. إقرار الإيمان البلجيكي

٣. دليل أسئلة وأجوبة وستمنستر الموجز

ج. وجهات النظر الكتابية

١. الكينونة

٢. الحكمة

٣. القوة

٤. القداسة

٥. العدل

٦. الصلاح

٧. الأمانة

IV . الخاتمة

نؤمن بالله

الدرس الثاني

مدى اختلاف الله

المقدمة

سمعت ذات مرّة عن شاب كان يصطحب صديقه للاستماع إلى عازف موسيقى جديد في المدينة. فأكد لصديقه قائلاً: "سوف تُحب هذا الرجل".

فسأله صديقه: "وبمن تُشبهه؟"

أجابته الشاب بحماس في صوته: "لا يُشبهه أحدًا سمعته من قبل على الإطلاق. وستدهش كثيرًا من مدى اختلافه".

مرزنا جميعنا بمواقف كهذه. ففي حين أننا نجد دائمًا نواحي يتشابه فيها من يُعجبوننا مع غيرهم، إلا أن هذه القواسم المشتركة عادةً ليست هي التي تُلقت انتباهنا. وفي أغلب الأحيان، ما يجعلنا نُعجب بهم بالأكثر هو مدى اختلافهم عن الآخرين. ينطبق هذا الشيء نفسه على الله من عدة نواحي. فكل تابع أمين للمسيح يُكرم الله ويعبده لأجل شخصه ولأجل ما يعمل. لكن عادةً ما يُذهلنا بدهشة عجيبة هو مدى اختلاف الله على نحوٍ مجيد عن كل ما خلقه.

هذا هو الدرس الثاني في سلسلتنا بعنوان **نؤمن بالله**. وهي سلسلة مخصّصة لدراسة عقيدة الله، أو العقيدة عن الله في اللاهوت النظامي. وقد وضعنا لهذا الدرس عنوان: "مدى اختلاف الله". وفي هذا الدرس، سنقوم بالتركيز على ما أطلق عليه اللاهوتيون في المعتاد صفات الله غير القابلة للمشاركة، أي كيف أنّ الله يختلف عن خليقته على نحوٍ مجيد. في الدرس السابق، قمنا بتعريف الصفات الإلهية كالاتي:

كمالات جوهر الله المُعلنة من خلال مظاهر تاريخية متنوعة.

فصفات الله هي تلك الخصائص في جوهره التي بدونها لا يصير هو الله فيما بعد. كما رأينا أيضًا أنّ اللاهوتيين عادةً ما تحدّثوا عن نوعين رئيسيين، أو صنفين، من صفات الله. صفاته القابلة للمشاركة، وهي تلك الخصائص في جوهر الله التي يُمكن للخليقة الاشتراك فيها على نحوٍ محدود. أما صفاته غير القابلة للمشاركة، فهي تلك الخصائص في جوهر الله التي لا يُمكن للخليقة الاشتراك فيها. وفي هذا الدرس، سنركّز على الصنف الثاني، وهو: صفات الله غير القابلة للمشاركة – أي مدى اختلافه على نحوٍ عجيب عن خليقته.

حين نتحدث عن هوية الله - أي صفاته - فإن البعض يقسمها إلى صفات قابلة للمشاركة، والتي تعني الأشياء التي تشابهنا، أو الصفات غير القابلة للمشاركة، وهي الأشياء التي يوجد فيها اختلاف كبير بيننا وبين الله. وأهمية هذا التمييز، لأنه يساعدنا على فهم هوية الله - الله المتفرد. مثلاً "ذاتية الوجود"، تعني أن الله موجود فقط لأنه يجعل نفسه موجوداً. بينما نحن نعتمد عليه في وجودنا. مثل تلك الأشياء تُخبرنا أنه الله يختلف كثيراً عنا. فإن التفرقة بين الصفات غير القابلة للمشاركة وتلك القابلة للمشاركة تساعدنا على معرفة هوية الله، وعلى معرفة كيف أن الله هو الله وأنا لسنا كذلك.

— د. فنسنت باكوت

سينقسم هذا الدرس عن الصفات التي تعلن مدى اختلاف الله عن خليقته إلى قسمين رئيسيين: أولاً، سوف نستعرض عملية التحديد، أي كيفية تحديدنا لصفات الله غير القابلة للمشاركة وتعريفها. وثانياً، سوف نستكشف عملية الدمج، أي كيف ينبغي أن ندمج بين معتقداتنا بشأن هذه المجموعة من الصفات الإلهية وبين فهمنا لكلمات الله الأخرى. لنبدأ بخطوة تحديد كلمات الله غير القابلة للمشاركة.

التحديد

توجد عدة طرائق لتناول موضوع تحديد هذه الصفات الإلهية. لكن لضيق الوقت، سوف نتطرق فقط إلى ثلاثة موضوعات رئيسية. أولاً، سنرى الأساس الكتابي للسعي نحو هذا الهدف. ثانياً، سنذكر التنوع اللاهوتي بين الإنجيليين بشأن هذه الأمور. وثالثاً، سنسلط الضوء على اتساع وجهات النظر الكتابية التي لا بد أن نضعها في اعتبارنا في أثناء تعريفنا لصفات الله غير القابلة للمشاركة. دعونا نستطلع الأساس الكتابي لتحديد هذه الكلمات الإلهية.

الأساس الكتابي

يقدم لنا الإعلان العام العديد من الوسائل لفهم صفات الله غير القابلة للمشاركة، حين نقارن خصائص جوهر الله مع خصائص خليقته. وقد أطلق الدارسون في العصور الوسطى على هذه الاستراتيجية اسم "via negationis" أو "طريقة التباين". لكن كما رأينا، قد أعطى الله شعبه على مر التاريخ إعلانًا خاصًا لإرشادنا في أثناء تأملنا في الإعلان العام. وبالنسبة لأتباع المسيح اليوم، هذا يعني أننا يجب أن نعمل كل ما بوسعنا كي تستند معتقداتنا عن هذه الأشياء على أساس تعليم الكتاب المقدس.

كما ذكرنا في الدرس السابق، فقد تأثرت العقيدة عن الله في عصر الآباء والعصور الوسطى تأثرًا شديدًا بالمفاهيم عن الله في الفلسفات الهيلينية. فقد ركزت الفلسفات الهيلينية على أن الله [متسام]، ولذلك، فهو مُنعزلٌ تمامًا عن التاريخ. وبناءً على هذا التأثير، تعرّف اللاهوتيون المسيحيون على صفات الله غير القابلة للمشاركة تقريبًا في كل صفحة من صفحات الكتاب المقدس. لكن، في العصر الحديث، تحوّل الكثير من علماء النقد اللاهوتيين المؤثرين، بل وحتى البعض من الإنجيليين، عن هذه التأثيرات الهيلينية. وبدلاً من التركيز على مفهوم تسامي الله، سلطوا الضوء على قرب الله - أي انخراطه في التاريخ. ولهذا السبب، صار من المعتاد للعديد من المؤمنين المُخلصين التقليل من شأن، بل وإنكار، أن الكتاب المقدس يؤيد العقيدة الكلاسيكية عن صفات الله غير القابلة للمشاركة. وبسبب الشكوك حول هذه الأمور، سيفيدنا أن نُشير إلى وجهة نظرٍ رئيسية عن الله نجدّها متغلغلة في الكتاب المقدس. وما نقصده هنا هو كيف أن كتابة الكتاب المقدس وشخصياته قد أشاروا كثيرًا إلى حقيقة أن الله لا يُقارن بشيءٍ - فهو لا مثيل له، ولا أحد يساويه، هو الأسمى. على سبيل المثال، في سفر ١ ملوك ٨: ٢٣، سبّح سليمانُ الله عند تدشين الهيكل هكذا:

أَيُّهَا الرَّبُّ إِلَهَ إِسْرَائِيلَ، لَيْسَ إِلَهٌ مِثْلَكَ فِي السَّمَاءِ مِنْ فَوْقُ، وَلَا عَلَى الْأَرْضِ مِنْ
أَسْفَلُ (١ ملوك ٨: ٢٣).

لاحظ كيف أن تصريح سليمان عن تفرد الله هو بدون استثناء. فلا يوجد أيُّ إلهٍ سواه في السماء من فوق، ولا على الأرض من أسفل مثل الله. ونجدُ تصريحاتٍ شبيهةً بهذا في المزمور ٧١: ١٩؛ وفي المزمور ٨٦: ٨؛ وفي المزمور ٨٩: ٦. وفي سفر ٢ صموئيل ٧: ٢٢ قال داودُ هذا:

لِذَلِكَ قَدْ عَظُمَتْ أَيُّهَا الرَّبُّ الْإِلَهُ، لِأَنَّهُ لَيْسَ مِثْلَكَ وَلَيْسَ إِلَهٌ غَيْرَكَ (٢ صموئيل
٧: ٢٢).

وكما نرى هنا، تحدّث داودُ عن تفرّد الله على نحوٍ يكتسِفُ معنَى أن يكونَ هو الله. فقد قال داودُ إنّ الله عظيمٌ وأنه ليسَ مثله. لكنّه أيضاً ادّعى أنّ الربَّ الإلهَ - "الربَّ، يهوه" أو "أدوناي يهوه" (אֲדֹנָי יְהוִה) في اللغة العبريّة - هو عظيمٌ جدّاً حتى أنّه "لَيْسَ إِلَهٌ غَيْرُ [الله]". ويقول داودُ هذا الكلام، قد أعلنَ أن تفرّدَ الله أمرٌ ضروريٌّ يجعلُ منَ الله الله. أيضاً تقومُ نصوصٌ مثلُ إشعياء ٤٠: ٤٦ وسفرِ أيوبِ الأصحاحِ ٤٠ و ٤١ بعملِ الشيءِ ذاته.

تُرسِّخُ هذه النصوصُ وأخرى شبيهةُ الأساسِ الكتابي الذي يبرِّزُ الدراسةَ المتأنّيةَ لكمالاتِ الله غيرِ القابلةِ للمشاركةِ. تعكسُ هذه الآياتُ التعليمَ الكتابيَ المتسقَ الذي يقيّدُ أنّ الله فوقَ مُستوىِ المقارنةِ مع خليفته. وفي زمنٍ يُخضعُ هذا الجانبَ من العقيدةِ عن الله للتشكيكِ في بعضِ الأوساطِ، بل والنقليلِ من شأنه كثيراً في أوساطٍ أخرى، يظلُّ الكتابُ المقدسُ يُعلنُ تفرّدَ الله. وهذا التفرّدُ يدعونا لتعلّم كلِّ ما بوسعنا تعلّمه عن مدى اختلافِ الله عن خليفته.

بعد أن ذكرنا الأساسَ الكتابيَ لفكرةِ تحديدِ صفاتِ الله غيرِ القابلةِ للمشاركةِ، ينبغي أن ننتجَ إلى موضوعٍ ثانٍ، وهو التنوّعُ اللاهوتيُّ الموجودُ بينَ الإنجيليينَ بشأنِ هذه الأمورِ.

التنوع الإلهي

لا يُقدّمُ لنا الكتابُ المقدسُ أيّ شيءٍ يقتربُ حتى من كونه قائمةً كاملةً ورسميةً عن صفاتِ الله غيرِ القابلةِ للمشاركةِ. لكنّ التعاليمَ الكتابيةَ في هذا الشأنِ تُظهرُ هنا وهناك، على هذا النحوِ وذلكَ النحوِ. ولهذا السببِ، فإنّ تحديدَ هذه الكمالاتِ الإلهيةِ شبيهةٌ بنشيدِ نوافذٍ من الزجاجِ الملونِ ذاتِ تصميمٍ معقّدٍ باستخدامِ أشكالٍ ودرجاتٍ من الألوانِ تُظهرُ في أجزاءٍ مختلفةٍ من الكتابِ المقدسِ. كما يُمكنُ أن تتخيلَ، توجدُ الكثيرُ من العملياتِ المعقّدةِ اللازمةِ للتعرفِ على هذه الأشكالِ والألوانِ، ولتركيبها وتصنيفها. وهكذا، حتى إنّ كُنّا نشتركُ في الكثيرِ من الآراءِ، لكن لا ينبغي أن نندَهشَ من كونِ الإنجيليينَ قد وضعوا قوائمَ مختلفةً لصفاتِ الله غيرِ القابلةِ للمشاركةِ.

نستطيعُ أن نحصلَ على فهمٍ لهذا التنوّعِ اللاهوتيِّ بعدةِ طرائقٍ. لكن لأجلِ السّهولةِ، دعونا ننظرُ إلى ثلاثِ وثائقٍ تاريخيةٍ من مُختلفِ فُرُوعِ الكنيسةِ البروتستانتيةِ. أولاً، سوف نستعرضُ إقرارَ

إيمان أوجسبرج. ثانياً، سنتناول إقرار الإيمان البلجيكي. وثالثاً، سننظر إلى دليل أسئلة وأجوبة وستمنستر الموجز. دعونا نتجه أولاً إلى إقرار إيمان أوجسبرج، الذي كتبت في عام ١٥٣٠ م.

إقرار إيمان أوجسبرج

في الدرس السابق، ذكرنا كيف تُوجزُ الفقرة الأولى من إقرار إيمان أوجسبرج اللوثرية صفات الله هكذا:

يُوجدُ جوهرٌ إلهيٌّ واحدٌ، وهو الله: سرمدِيٌّ، دونَ جسدٍ، دونَ أجزاءٍ، له قوةٌ وحكمةٌ
وصلاحٌ غيرٌ محدودينَ.

كما نرى، تتحدثُ هذه الفقرة عن ستةِ كمالاتٍ إلهيةٍ. وعلى الرغم من كونِ الأمرِ فيه نوعٌ من التبسيط، لكن كان من المعتادِ ربطُ كلماتٍ مثلَ القوةِ، والحكمةِ، والصلاحِ بصفاتِ الله القابلةِ للمشاركةِ. فهذه صفاتٌ، تشتركُ فيها المخلوقاتُ، وخاصةً البشرُ، على مستوى محدوديةِ المخلوقِ. وأيضاً كان من الشائعِ ربطُ كلماتٍ سرمدِيٍّ، ودونَ جسدٍ، ودونَ أجزاءٍ ومصطلحٍ غيرِ محدودينَ بصفاتِ الله غيرِ القابلةِ للمشاركةِ. فهذه نواحٍ يختلفُ فيها الله عن خليقتهِ. إذ نضعُ في اعتبارنا الصفاتِ غيرِ القابلةِ للمشاركةِ المذكورةِ في إقرار إيمان أوجسبرج، دعونا نلاحظُ التنوعَ اللاهوتيَّ بين الإنجيليين بالانتقالِ إلى إقرار الإيمان البلجيكي المصلح، الذي كتبتُ في عام ١٥٦١ م.

إقرار الإيمان البلجيكي

في الفقرة الأولى من إقرار الإيمان البلجيكي نقرأ هذه الكلمات:

يُوجدُ كائنٌ واحدٌ وحيدٌ، بسيطٌ وروحيٌّ، ندعوه الله... وهو سرمدِيٌّ، غيرُ مُدرَكٌ، غيرُ منظورٍ، ثابتٌ، غيرُ محدودٍ، وقديرٌ، وكاملُ الحكمةِ، والعدلِ، والصلاحِ، وهو النبعُ الفائضُ لكلِّ صلاحٍ.

كما نرى هنا، فالإيمان بالله، فإلى جانب ذكر أن الله هو كائنٌ روحيٌّ، بناءً على كلمات المسيح في إنجيل يوحنا ٤: ٢٤، يصف إقرار الإيمان البلجيكي الله بعشرة كلماتٍ أخرى. مرةً أخرى نقول إن الأمر فيه نوعٌ من التبسيط، لكن بوجهٍ عامٍّ، اعتبرت اللاهوتيون هذه التسميات قديرًا، حكيمًا، عادلًا وصالحًا أنها صفاتٌ قابلةٌ للمشاركة، لأننا نشترك في القوة، والحكمة، والعدل، والصالح مع الله على مستوى إنسانيٍّ محدودٍ. أما الكلماتُ بسيطٌ، التي تعني أن الله لا ينقسم إلى أجزاءٍ - وسرمديٍّ، وغير مُدركٍ - والتي تعني أننا لا يمكننا فهم أي شيءٍ عن الله فهمًا كاملًا - وغير منظورٍ، وثابتٍ - أي لا يتغير - وغير محدودٍ فهي عادةً ما اعتُبرت إشاراتٍ لصفاتِ الله غير القابلة للمشاركة.

في دراستنا عن التنوع اللاهوتي في تحديد صفاتِ الله، رأينا كيف يُقدّم إقرار إيمان أوجسبرج وإقرار الإيمان البلجيكي صفاتِ الله غير القابلة للمشاركة. والآن، دعونا نتجه إلى الوثيقة الثالثة الهامة، وهي دليل أسئلة وأجوبة وستمنستر الموجز الذي كُتب في عام ١٦٤٧ م:

دليل أسئلة وأجوبة وستمنستر الموجز

يقول السؤال ٤ وجوابه في دليل أسئلة وأجوبة وستمنستر الموجز الآتي:

ما هو الله؟

ويجيبُ الدليلُ هكذا:

الله روحٌ، غيرٌ محدودٍ، وسرمديٌّ، وغيرٌ متغيّرٍ، في كينونته، وحكمته، وقوته، وقداسته، وعدله، وصلاحه، وأمانته.

وبعد وصف الدليل الموجز الله بأنه روحٌ، يسردُ أيضًا عشرةً كمالاتٍ إلهية. ومرةً أخرى، سنرى لاحقًا أن هذه المسائل معقدة، لكن من المعتاد الحديث عن الكينونة، والحكمة، والقوة، والقداسة، والعدل، والصالح، والأمانة على أنها صفاتٌ قابلةٌ للمشاركة. ومن المعتاد أيضًا تعريف

كلمات غير محدودٍ، وسرمديٍّ، وغير متغيرٍ، أو ثابتٍ، بأنها صفات الله غير القابلة للمشاركة. حين نضع هذه القوائم عن صفات الله غير القابلة للمشاركة جنبًا إلى جنبٍ، يمكننا أن نرى أنها ليست متطابقةً. فإنَّ الثلاثَ وثائقَ جميعها تذكرُ أن الله سرمدِيٌّ، وغير محدودٍ. لكن إقرارُ الإيمانِ البلجيكيِّ والدليلُ الموجزُ فحسبُ يذكرانِ أنَّ الله كائنٌ روحيٌّ أو روحٌ، وأنه ثابتٌ أو غير متغيرٍ. ووحدهُ إقرارُ إيمانِ أوجسبرج يُعلنُ أن الله دونَ جسدٍ ودونَ أجزاءٍ. وينفردُ الإقرارُ البلجيكيُّ بقوله إن الله بسيطٌ، وغير مُدرَكٍ، وغير منظورٍ.

وكما يمكننا أن نرى من هذه المقارناتِ، قد عبَّرَ الإنجيليونَ عن صفاتِ الله غير القابلة للمشاركةِ بطرائقَ مختلفةٍ. لكن ما هو عددُ الاختلافاتِ الجوهرية التي تعكسها هذه القوائم؟

عندما يَعلمُ طلبة اللاهوت لأول مرة أن الإنجيليين لا يستخدمون جميعهم نفس المصطلحات للتعبير عن صفاتِ الله غير القابلة للمشاركةِ، يفترضون في الأغلب أننا نؤمن بأشياء مختلفة تمامًا عن الله. وكما هو الحال في كل جانب من جوانب اللاهوت النظامي، صحيح أن الاختلافات فيما بيننا عادةً ما تُمثَّلُ أوجه تركيز لاهوتية مختلفة. ولكن في أغلب الأحيان، لا تُمثَّلُ الاختلافات في قوائمنا عن صفاتِ الله غير القابلة للمشاركةِ، أكثر من مجرد تنوع في المصطلحات. في سلسلتنا بعنوان **بناء علم اللاهوت النظامي**، نتحدث بشيء من التفصيل عن المصطلحات اللاهوتية التقنية. ولذلك، يكفي الآن أن نذكر هذا الأمر البسيط: على الرَّغم من استخدام أتباع المسيح الأمانة لمصطلحاتٍ تقنيَّةٍ مختلفة، لسرد صفاتِ الله غير القابلة للمشاركةِ، لكن هذه القوائم بوجهٍ عام، لا تُمثَّلُ اختلافات جوهرية في مفاهيمنا أو معتقداتنا عن الله.

كما ذكرنا لتوتنا، يذكرُ إقرارُ إيمانِ أوجسبرج أن الله دونَ جسدٍ. وبالرَّغم من عدم استخدام الإقرارِ البلجيكيِّ ودليلِ وستمنستر الموجزِ لهذا التعبيرِ، لكنهما مع هذا يُقدمانِ المعتقدَ أو المفهومَ عينه. فيتناولُ الإقرارُ البلجيكيُّ هذا المعنى حين يقولُ إنَّ الله كائنٌ روحيٌّ وغير منظورٍ. ويؤكدُ دليلُ وستمنستر على أنَّ الله روحٌ، ولذلك فهو دونَ جسدٍ.

كما يذكرُ إقرارُ أوجسبرج أيضًا أنَّ الله دونَ أجزاءٍ. ويقولُ الإقرارُ البلجيكيُّ الشيءَ ذاته حين يصفُ الله بأنه بسيطٌ. وكما ذكرنا سابقًا، تُعدُّ كلمة "بسيطٌ" وسيلةً قديمةً لقولِ إنه "لا ينقسمُ" أو "دونَ أجزاءٍ". ويغطي دليلُ وستمنستر أيضًا هذه الصفةَ حين يقولُ إن الله غير محدودٍ. فهو ليس لديه أجزاء لأن كمالته لا حدود لها.

وبطريقةٍ مماثلةٍ، ينفردُ الإقرارُ البلجيكيُّ بالقولِ إنَّ الله غير مُدرَكٍ. لكنَّ إقرارَ أوجسبرج ودليلُ وستمنستر الموجزُ يفترضانِ وجودَ هذه الصفةِ الإلهية باستخدامهما للفظه غير محدودٍ. ولأن عقلَ

الله لا حدود له، فإننا لا يمكننا إدراكه.

من الواضح أن اللاهوتيين قد قاموا بتصنيف صفات الله غير القابلة للمشاركة بطرائق مختلفة. لكن كما رأينا، فإن مفاهيمنا عن الله ليست مختلفة على نحو كبير. وهكذا، لا بد أن نتجاوز دائماً المصطلحات اللاهوتية التقنية الخاصة ونركز على المفاهيم أو المعتقدات التي تعنيها.

حين يقوم اللاهوتيون بعملهم، أو حتى حين يجتمع بعض المؤمنين لمحاولة وضع إقرارات إيمان كي تتمكن الكنيسة من وصف معتقداتها ولاهوتها، في جميع تلك الحالات، يحاولون وصف الحق ذاته، إن اتفق الناس معاً بالفعل. لكن قد يقع اختيارهم على أشياء مختلفة. فإن كنا نفكر في وصف الله، فنحن ندرك أن الله كائن واحد في ثلاثة أقانيم، لكنه واحد. ومع ذلك فإن له صفات مختلفة. ولهذا لا ينبغي أن نتعجب من أننا حين نبدأ في التحدث عن أمر بهذه الضخامة وبهذه الأهمية، فإننا قد نستخدم كلمات مختلفة. يلزمنا أن نحاول التفتيش عن المعنى الضمني الذي تحاول الكلمات وصفه، ونتمكن من مقارنة تلك الأشياء ببعضها. وما قد يزيد من حيرتنا هو حين نستخدم مجموعتين مختلفتين من البشر الكلمة نفسها لوصف شيئين مختلفين. ولهذا لا بد أن نفهم أننا لا يمكن أن نضع الكلمات بجوار بعضها فحسب. بل لا بد أن نحاول التنقيب فيما وراء الكلمات لاكتشاف ما يحاول أولئك اللاهوتيون، وكتبته تلك الإقرارات وصفه، كي يتسنى لنا أن ندرك ما يوجد وراءها، ونتمكن من المقارنة لنرى أين توجد الاختلافات وأين لا توجد. وفي كثير جداً من الأحيان حين نقوم بتلك المهمة نجد أن الاختلاف أقل مما نعتقد، لأن هذه الإقرارات لا تزال مؤسسة على سلطان الكتاب المقدس وعلى عمل المسيح. ولذلك حتى إن استخدمت هذه الإقرارات كلمات مختلفة لوصف ذلك الحق الواحد، فلا يزال غرضها هو وصف هذا الحق.

— د. تيم سانسبوري

تصير لهذا الأمر أهمية خاصة حين ندرك أن مصطلحات أخرى قد استخدمت عادة لوصف هذه الصفات نفسها. على سبيل المثال، يتحدث الإنجيليون عادة عن الوجود الكلي لله، أي حقيقة أن الله موجود في كل مكان؛ وعلم الله الكلي، أي حقيقة أنه يعلم بكل شيء؛ وقدرة الله الكلية، أي حقيقة

أنَّ الله كاملُ القوة. كما يتحدثُ العديدُ من اللاهوتيينَ أيضًا عن ذاتيةِ وجودِ الله، أي أن الله مُكتفٍ بذاتهِ ومُستقلٌّ عن خَلْقَتِهِ، وأيضًا عن سيادةِ الله، أي حقيقةِ أنَّ الله مُتَحَكِّمٌ بِالكَامِلِ في الخَلِيقَةِ. كي نكونَ على يقينٍ، هنا بعضُ الخلافاتِ حولَ بعضِ تفاصيلِ هذه العقائد. لكن بوجهِ عامٍّ، لا تُمثِّلُ الاختلافاتُ في المصطلحاتِ اختلافاتٍ جوهريَّةً في الرأيِ بينَ اللاهوتيينَ الإنجيليينَ واسعي المعرفةِ. والآنَ، بما أننا تناولنا الأساسَ الكتابيَّ الذي يَدَعُمُ تحديدَ مدى اختلافِ الله عن خَلْقَتِهِ، وأيضًا التنوُّعَ اللاهوتيَّ بينَ الإنجيليينَ في هذا الجانبِ من عقيدةِ الله، لا بدَّ أن نُولِيَ اهتمامًا للاتساعِ في [وجهاتِ النظرِ الكتابيةِ التي تساعدنا في تعريفِ هذه الكلماتِ الإلهيةِ بصورةٍ أفضلِ.

وجهات النظر الكتابية

إن وَضَع قائمةً من المصطلحاتِ لوصفِ مدى اختلافِ الله عن خَلْقَتِهِ هو شيءٌ. وتحديدِ هذه المصطلحاتِ بارتباطها بالعديدِ من التعاليمِ المتعلقة بها في الكتاب المقدس هو شيءٌ آخر. فصفاةِ الله غير القابلة للمُشاركة هي من أكثر المفاهيمِ النظريةِ في اللاهوت المسيحي. ونتيجةً لهذا، تطرَّف المؤمنون كثيرًا في تحديدهم لِمَا تَعْنِيهِ هذه المصطلحات. وكما سنرى الآن، يجب أن نضع في اعتبارنا اتساعَ وجهاتِ النظرِ الكتابيةِ عن الله، إن كنا نرجو أن نتجنَّب مفاهيم خاطئة وخطيرة عن صفاته غير القابلة للمُشاركة.

كي نرى اتساعَ وجهاتِ النظرِ الكتابيةِ التي لا بدَّ أن نضعه في اعتبارنا، سننظر في اتجاهين. أولاً، سنرى كيف يُسلِّطُ الكتابُ المقدسُ الضوءَ على التسامي الإلهيِّ من أجلِ توضيحِ صفاةِ الله غير القابلة للمُشاركة. وثانيًا، سنستكشفُ ما تُعَلِّمُهُ الأسفارُ المقدسةُ عن القربِ الإلهيِّ. لننظرَ أولاً إلى التعليمِ الكتابيِّ عن التسامي الإلهيِّ.

التسامي الإلهي

تُعبِّرُ صِفةُ التسامي عن مفهومِ التَفَوُّقِ والتجاوِزِ. وهكذا، فحين نتحدثُ عن تساميِ الله، فإننا نقولُ - في لغةٍ تصويريةٍ إلى حدٍّ ما - وبحسبِ الطريقةِ التي نُفكِّرُ بها فيه، إنَّه يَفُوقُ ويتجاوِزُ ما هو بشريٌّ. وهكذا أن نتحدثَ عن تساميِ الله نُفكِّرُ بها فيه، هو أن نَصِفَ اللهَ في أصلِهِ وطبيعتهِ بأنه هو الله، وليس

مجرد وثن، أو إله يمكن للبشر أن يخدعوه، أو يتحكموا فيه بطريقة سحرية، بل هو الله. وهكذا فإن جزءاً من تفكيرنا في من هو الله، هو قبولنا بأنه فعلياً هو الله، ولهذا فهو يستحق العبادة. ففي إشعياء نقرأ: "قدوس، قدوس، قدوس"، عن هذا الإله العظيم، والضحيم، والخالق، وسيد الزمان والمكان، والذي يسمو فوق خليقته، وهو فوق مناورات البشر - أي هو متسام. هذا هو الله في طبيعته الأصيلية.

— د. جوش مودي

ببساطة، حين نتحدث عن "التسامي الإلهي"، فنحن نعني أن الله ليس محدوداً بالحدود التي وضعها لخليقته. فهو يسمو فوق الخليقة. وكل قائمة قياسية لصفات الله غير القابلة للمشاركة تستند على ما يُعلمه الكتاب المقدس بشأن تسامي الله. لكن لضيق الوقت والتبسيط، سنبحث في دليل أسئلة وأجوبة وستمنستر الموجز، السؤال ٤، كي نوضح ما نعنيه.

يتحدث الدليل الموجز عن التسامي الإلهي بسرده لثلاثة كمالات غير قابلة للمشاركة. فهو يخبرنا بأن الله غير محدود، وسرمدي، وغير متغير. لنلاحظ أولاً كيف يُعلم الكتاب المقدس بأن الله غير محدود.

غير محدود. يندهش كثير من المؤمنين حين يعرفون أن كلمة "غير محدود" غير موجودة في الكتاب المقدس. بل هي مصطلح تقني فلسفي يُعبر عن مفهوم يظهر بمختلف الطرائق في الكتاب المقدس. وفي اللغة الإنجليزية، غالباً ما تُترجم كلمة "غير محدود" من كلمتين لاهوتيتين باللغة اللاتينية. الكلمة الأولى هي *immensus*، والتي تعني "لا يقاس" أو "لا يُحصى". والكلمة الثانية هي *infinitus* وتعني "بلا نهاية" أو "بلا حدود". وهكذا، حين نقول إن الله غير محدود، فنحن نعني أنه على النقيض من خليقته المحدودة. فهو لا يقاس، ولا يُحصى، بلا نهاية، وبلا حدود. وببساطة، إن كمالات الله لا حدود لها.

وتشير بعض النصوص الكتابية بوضوح إلى صور مختلفة تُظهر عدم محدودية الله. على سبيل المثال، في سفر ١ ملوك ٨: ٢٧، أشار سليمان إلى أن الله لا يمكن أن يحدّه المكان، حين قال لله: "هُودَا السَّمَاوَاتِ وَسَمَاءُ السَّمَاوَاتِ لَا تَسَعُكَ". وفي رسالة رومية ١١: ٣٣، أشار بولس إلى

أَنَّ عِلْمَ اللَّهِ وَحِكْمَتِهِ لَا يُمَكَّنُ قِيَاسُهُمَا حِينَ تَحَدَّثُ عَنْ "أَحْكَامِ اللَّهِ... الْبَعِيدَةُ عَنِ الْفَحْصِ وَطُرُقِهِ الَّتِي هِيَ "بَعِيدَةٌ عَنِ الْاسْتِقْصَاءِ". وَكَمَا قَالَ كَاتِبُ الْمَزْمُورِ فِي الْمَزْمُورِ ١٣٩: ٦، إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِظَمَةِ حَتَّى أَنْ مَعْرِفَتَهُ عَجِيبَةٌ... وَمَرْتَفَعَةٌ لِلْغَايَةِ... لَا يُمَكَّنُ الْوَصُولَ إِلَيْهَا". هَذِهِ النُّصُوصُ وَنُصُوصُ أُخْرَى شَبِيهَةٌ تُشِيرُ إِلَى أَنَّهُ مِنَ الصَّوَابِ التَّحَدُّثُ عَنِ اللَّهِ بِأَنَّهُ غَيْرُ مَحْدُودٍ فِي كَمَالَاتِهِ.

إِنَّ عَدَمَ مَحْدُودِيَّةِ اللَّهِ هِيَ طَرِيقَةٌ لِلْحَدِيثِ عَنِ عَدَمِ خُضُوعِ اللَّهِ لِحُدُودٍ. فَإِنَّا نَحْيَا فِي إِحْدَاثِيَّاتِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ. هُنَاكَ تَقَدَّمَ يَجْرِي فِي حَيَاتِنَا فِي نِطَاقِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ. بَلْ وَمِنْ الصَّعْبِ التَّحَدُّثُ عَنِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ نَفْسِيهِمَا فِي الْمَطْلُوقِ. وَهَكَذَا، حِينَ نَتَحَدَّثُ عَنِ عَدَمِ مَحْدُودِيَّةِ اللَّهِ، فَنَحْنُ نَحَاوِلُ أَنْ نَنْقِلَ فِكْرَةَ أَنَّ اللَّهَ غَيْرُ مَقْيَدٍ مِثْلُنَا بِقِيُودِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ. وَبِالتَّالِي، فَإِنَّ وُجُودَ اللَّهِ الزَّمَنِيِّ، أَوْ الْوُجُودَ الْمَكَانِيَّ، هُوَ نَوْعٌ مِنَ سُوءِ الْإِسْتِخْدَامِ لِلْكَلِمَاتِ. فَإِنَّ اللَّهَ - وَمَرَّةً أُخْرَى نَسْتُخْدِمُ هُنَا اللُّغَةَ لِلْحَدِيثِ عَنِ اخْتِبَارٍ يَفُوقُ اخْتِبَارَنَا الْبَشَرِيَّ - هُوَ خَارِجٌ حُدُودِ الزَّمَانِ، لَكِنْ حَتَّى بِهَذَا فَنَحْنُ نَسْتُخْدِمُ لُغَةً مَكَانِيَّةً لِلْحَدِيثِ عَنِ الزَّمَانِ. لِهَذَا، فَإِنَّ الْحَدِيثَ عَنِ عَدَمِ مَحْدُودِيَّةِ اللَّهِ هُوَ الْقَوْلُ إِنَّهُ لَا يَخْضَعُ لِحُدُودٍ بَعَكْسِنَا نَحْنُ.

— د. ريتشارد لنتس

بالإضافة إلى تأكيد الكتاب المقدس على التسامي الإلهي من خلال إعلان أن الله غير محدود، فهو يشير أيضاً على نحو مباشر إلى الفكرة النظرية بأن الله سرمدى.

سرمدى. عادة ما تُستخدم الكلمة "سرمدى" كترجمة للألفاظ الكتابية "عاد" (ἄδ) و"عولام" (λαῖλα), وفي بعض الأحيان كترجمة لكلمة "تيساح" (ἰλα) في العهد القديم، والكلمات "أيون" αἰών و"أوينوس" (αἰώνιος) في كل من العهد القديم اليوناني - أو الترجمة السبعينية - والعهد الجديد. بالطبع هذه الكلمات تنطبق أيضاً على جوانب من الخليقة، لكن ليس بنفس المعنى الذي تنطبق به على الله. فإن الخليقة زمنية، ومحدودة بالزمان بعدة صور. لكن الله ليس كذلك، فهو سرمدى بمعنى أن كمالاته لا تخضع للزمن.

وتتحدث بعض النصوص الكتابية عن أبعاد مختلفة لسرمدية الله. على سبيل المثال تتحدث

رسالة ١ تيموثاوس ١: ١٧ عن الله باعتباره ملك الدهور. فيقول: "مَلِكُ الدُّهُورِ... الإلهُ وَحْدَهُ، لَهُ الكَرَامَةُ وَالْمَجْدُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ." كما يُسَبِّحُ سفرُ الرؤيا ٤: ٨ الله باعتباره سرمدياً إذ تدعوه المخلوقات السماوية "الَّذِي كَانَ وَالْكَائِنُ وَالَّذِي يَأْتِي." كما تتحدث رسالة ٢ بطرس ٣: ٨ عن أن الله يسمو فوق كل التاريخ حين تقول: "إِنَّ يَوْمًا وَاحِدًا عِنْدَ الرَّبِّ كَأَلْفِ سَنَةٍ، وَأَلْفَ سَنَةٍ كَيَوْمٍ وَاحِدٍ." هذه النصوص ونصوص كثيرة شبيهة توضح أن کمالاتِ الله سرمدية.

يتحدث الكتاب المقدس كثيراً عن الله باعتباره سرمدياً. وهذا يعني أنه يمتد من الأزل إلى الأبد، وهكذا فلم يكن هناك بدء لم يكن فيه إله، أو لم يكن الله موجوداً فيه. الخليفة ليست سرمدية، بل لها بداية. والكون بأكمله له بداية. فقد خلق الله السماوات والأرض من العدم. لكن الله ليس له بداية. فالله كان موجوداً منذ الأزل وهو سيظل الله إلى الأبد، وهكذا فهو أزلي أبدي. بالتالي فإن تعبير "سرمدية" يشير إلى كونه منذ الأزل وإلى الأبد. فلا يوجد وقت لا يكون الله موجوداً فيه، سواء في الماضي أو في المستقبل.

— ق. د. پول ر. رابي

لا يبين الكتاب المقدس التسامي الإلهي من خلال التأكيد على أن الله غير محدود وسرمدية فحسب، بل يشير أيضاً بوضوح إلى حقيقة أن الله غير متغير.

غير متغير. توجد بعض التعبيرات الكتابية التي تشير إلى أن الله غير متغير. فإن الفعل العبري "شاننا" (שָׁנָה) يعني "يتغير". والفعل "تاحام" (תָּחַם) يعني "يغير رأيه". أما الاسم اليوناني في العهد الجديد "بارالاجي" (παράλλαξις) فهو يعني "تغييراً" أو "تنوعاً". توضح الخبرة الحياتية والكتاب المقدس أن كل شيء في الخليفة، إلى حد ما، متغير. لكن حين يتم تطبيق هذه المصطلحات على الله، فهي في هذه الحالة تتحدث عن جانب آخر يختلف فيه الله على نحو مذهل عن خليفته. ووفقاً للكتاب المقدس إن کمالاتِ الله لا يمكن أن تتغير.

فقد قال الله نفسه بوضوح إنه لا يتغير في سفر ملاخي ٣: ٦ في هذا العدد، قابل الله بين ثباته وعدم ثبات تكريس إسرائيل، بأن قال: "أَنَا الرَّبُّ لَا أُنْعَمُّ". وفي سفر العدد ٢٣: ١٩، تُوجد مقابلة بين الله وبين البشر: "أليس الله إنساناً فيكذب." وفي رسالة يعقوب ١: ١٧، طمأن يعقوب

سامعيه بشأن ثبات الله بأن وصفه بأنه "أبي الأثوار، الذي ليس عنده تغيير ولا ظل دوران". تصور هذه النصوص ونصوص أخرى شبيهة الله بأنه ثابت أو لا يتغير.

إنَّ الله لا يتغير، وهذا يظهر على نحو مباشرٍ وخاصٍ في الكتاب المقدس في مواضع عدة، لكنَّ النصَّ الأوضح هو "يسوع المسيح هو هو أمسًا واليومَ وإلى الأبد". فالكتاب المقدس واضح في كون الله لا يتغير، ومع ذلك فهو يصف أشياء تبدو وكأنها تتغير. على سبيل المثال، حين نتحدث عن ناموس الله، فإنَّ الكتاب المقدس لا يشير إلى أن الله يصير أكثر مرونة بمرور الوقت. فالله لا يخط من معاييرهِ. ليس الأمر وكأنه نظر إلى الجنس البشري لآلاف السنوات، ثم قال: "كنت أعلم أنهم غير كاملين، ولكني الآن أستطيع أن أرى هذا، ولهذا ليس عليهم اليوم أن يحيوا بمقتضى المعايير ذاتها". تلك الأشياء لا تتغير البتة. فما قد أعلنه الله لموسى على جبل سيناء، وما أعلنه في كل الكتاب المقدس، لا زال كما هو. فإننا ملزمون بالمقياس عينه، وهذا كان ليزعبنًا ويخيفنا لولا حقيقة أن رسالة الإنجيل أيضًا لا تتغير، وأنَّ الله لطالما أحبَّ خليقتَه، وبالأخصَّ وعن قصدٍ، أحبَّ البشر بما يكفي حتى أنه جاء إلى العالم ليصنع فارقًا في حياتنا، وليغيرها حتى لا نسلّم للجحيم إلى الأبد بل يتسنى لنا أن نحيا معه في السماء وإلى الأبد. فثبات الله هو تحذير لنا من جهة، وتعزية شديدة لنا من الجهة الأخرى.

— د. جيفري مور

حين نتأمل في كلِّ من الإعلان العام، والكتاب المقدس، يكون من الصعب أن نُنكر أن الله يتسامى فوق خليقتِه في كلِّ من هذه النواحي الثلاث. فالخليقة محدودة، لكنَّ الله غير محدود. الخليقة زائلة، لكن الله سرمدي، والخليقة متغيرة، لكن الله غير متغير.

لكن لا بدَّ أن نحترس في هذا. فإن مصطلحاتٍ مثل "غير محدود"، و "سرمدي"، و "غير متغير" هي مصطلحات نظرية للغاية حتى إنه من السهل أن يُساء تفسيرها. على سبيل المثال، يتطرف الكثير من طلبة اللاهوت المبتدئين. فيتعاملون وكأنَّ صفات الله غير القابلة للمشاركة تُشكل حاجزًا غير قابل للاختراق بين الله وخليقتِه. وبالرغم من أن الكثير من التعاليم الصريحة تقول النقيض، في كلِّ من الكتاب المقدس واللاهوت النظامي، إلا أن البعض لا يزورن سوى تسامي الله.

فهم يُفنعون أنفسهم بأن الله إذ هو غير محدودٍ، وسرمدِيٌّ، وغير متغيرٍ، فهو لا يستطيعُ فعلياً أن يدخلَ إلى العالمِ المحدودِ، والزمنيِّ، والمتغيرِ، ليتفاعلَ معه.

على سبيلِ المثالِ، كثيرونَ يقولونَ إنَّ الله إذ هو غيرُ محدودٍ في معرفته، فهو لا يتحققُ من الظروفِ على الإطلاقِ. لكن الكتابَ المقدسَ يتحدثُ كثيراً عن النقيضِ. على سبيلِ المثالِ، في سفرِ التكوينِ ١٨: ٢٠-٢١ أرسلَ اللهُ جواسيسَ من الملائكةِ للنقصي في خطيةِ سدومَ وعمورةِ.

وبالمثلِ، يتبنّى البعضُ فكرةَ أن الله إذ هو سرمدِيٌّ، فهو لا ينتظرُ حتى يتفاعلَ مع طاعةِ البشرِ أو عصيانِهِم. لكن فعلياً، هو يفعلُ هذا كثيراً. على سبيلِ المثالِ، يخبرنا سفرُ التثنيةِ ٨: ٢ بأنَّ الله انتظرَ في دينونتهِ لشعبِ إسرائيلَ أثناءَ الخروجِ حتى أخفقوا في اختباراتِ طاعتِهِم.

وبالإضافةِ إلى ذلك، يُصرُّ كثيرونَ على أن الله لأنه غيرُ متغيرٍ، فهو لا يستجيبُ قطُّ للصلواتِ. لكن الله يستجيبُ بالفعل للصلاةِ في كلِّ الكتابِ المقدسِ. نرى هذا في مواضعٍ مثلِ سفرِ الخروجِ ٣٢: ١٤ فبعد أن قالَ اللهُ إنه سيهلكُ بني إسرائيلَ عندَ سفحِ جبلِ سيناءَ، استجابَ لصلاةِ موسى، وتراجعَ عن إهلاكِ شعبِهِ.

كيف إذن يجمعُ هؤلاءُ الإنجيليونَ بين آرائِهِم عن صفاتِ الله غيرِ القابلةِ للمشاركةِ وهذه التعاليمِ وأخرى شبيهةٍ في الكتابِ المقدسِ؟ للأسفِ، في كثيرٍ جداً من الأحيانِ، يتعاملُ هؤلاءُ مع الأمثلةِ الكتابيةِ عن تعاملاتِ الله مع خليقتِهِ على أنها مجردُ "ظهوراتٍ". ومن هذا المنظورِ، فإنَّ الله لا يُشركُ نفسهُ بالفعل مع خليقتِهِ. بل هو لا يعطينا سوى الانطباعَ بأنه يفعلُ هذا. لكننا حين نفكرُ في صفاتِ الله غيرِ القابلةِ للمشاركةِ بطرائقَ تُنقصُ من حقيقةِ تفاعلِهِ مع خليقتِهِ، فإننا نضربُ الإيمانَ الكتابيَّ في مقتلٍ. ماذا يمكنُ أن يكونَ أهمُّ في الكتابِ المقدسِ من حقيقةِ أن الله متفاعلٌ بالتمامِ وبشكلٍ سليمٍ مع خليقتِهِ المحدودةِ، والزمنيةِ، والمتغيرةِ؟ أيُّ شيءٍ قد يكونُ أهمُّ لنا جميعاً من حقيقةِ أن الله يتفاعلُ معنا؟

كي نتجنبَ هذه المفاهيمَ المغلوطةَ الخطيرةَ، لا بد أن نضعَ في اعتبارنا دائماً النطاقَ الكاملَ لوجهاتِ النظرِ الكتابيةِ عن صفاتِ الله غيرِ القابلةِ للمشاركةِ. وقد رأينا كيف يشيرُ الكتابُ المقدسُ إلى التسامي الإلهيِّ. الآن، لنرى كيف يؤكدُ الكتابُ المقدسُ أيضاً على القُربِ الإلهيِّ.

القُربِ الإلهي

يشيرُ "القُربِ الإلهيُّ" بوجهٍ عامٍّ إلى حقيقةِ تفاعلِ الله مع خليقتِهِ. بل في حقيقةِ الأمرِ،

يُخصَّصُ الكتابُ المقدسُ وقتاً للحديثِ عن تفاعلِ اللهِ عن قُربٍ في العالمِ، أكثرَ من الوقتِ الذي يخصصُهُ للحديثِ عن تساميهِ. ونرى هذا في الطرائقَ الكثيرةَ التي من خلالها يسجلُ الكتابُ المقدسُ استعلاناتِ اللهِ التاريخيةِ. "فالاستعلاناتُ التاريخيةُ" هي الوسائلُ التي من خلالها اشتركَ اللهُ بنفسه في كشفِ التاريخِ الكتابيِّ. يقدمُ لنا الكتابُ المقدسُ العديدَ من أوصافِ اللهِ. ويعلنُ أسماءً وألقاباً متنوعةً، ويقدمُ صوراً بلاغيةً وتشبيهاتٍ عن اللهِ لا تُحصَى، كما يسجلُ العديدَ من أعماله. وفي بعضِ الحالاتِ، يسلُطُ الكتابُ المقدسُ الضوءَ على استعلاناتِ اللهِ التاريخيةِ في فتراتٍ قصيرةٍ من الزمنِ. وفي حالاتٍ أخرى، يقدمُ استعلاناته التاريخيةِ عبرَ فتراتٍ طويلةٍ من الزمنِ. فهو يتناولُ أعمالَ اللهِ في عرشه السماويِّ وعلى الأرضِ. كما يعلنُ بعضَ الأشياءِ عن تعاملاته مع العالمِ الروحيِّ والعالمِ الماديِّ، ومع جماعاتٍ كبيرةٍ من البشرِ ومع جماعاتٍ أصغرَ، ومع عائلاتٍ وحتى مع أفرادٍ.

للأسفِ، بعضُ المؤمنينَ بحُسنِ نيةٍ قد أساءوا تفسيرَ تركيزِ الكتابِ المقدسِ على القُربِ الإلهيِّ. فقد اعتبروا تعاملاتِ اللهِ مع خليفته إنكاراً لتساميه الإلهيِّ. بعضُ وجهاتِ النظرِ هذه هي أكثرُ تطرفاً من أخرى غيرها. لكن، من جهةٍ أو أخرى، جميعها تُشدُّدُ على القُربِ الإلهيِّ لدرجةٍ رفضها لصفاتِ اللهِ غيرِ القابلةِ للمشاركةِ.

على سبيلِ المثالِ، هم يستنتجونَ أن اللهَ لا بد أن يكونَ محدوداً لأنه يطرحُ أسئلةً، ويعبرُ عن إحباطه، ولا يغلبُ الشرُّ على الفورِ. وقد افترضَ بعضُ علماءِ اللاهوتِ أن اللهَ ليس سمردياً لأنه يؤجِّلُ التصرفَ حتى يختبرَ شعبه، فهو يقدمُ الخلاصَ، ويهددُ بالدينونةِ. وأولئك أنفسهم قد استنتجوا أن اللهَ يتغيَّرُ لأنه يستجيبُ للصلاةِ، ويتراجعُ في قراره، ويُعدِّلُ من مبادئه الإرشاديةِ. تُنكرُ هذه الآراءُ الحقيقةَ الكاملةَ للتسامي الإلهيِّ لصالحِ القُربِ الإلهيِّ.

لكن أن تُنكرَ أن اللهَ غيرَ محدودٍ، وسمرديٍّ، ولا يتغيَّرُ بهذه الطريقةِ، هو أيضاً بمثابةِ ضربِ الإيمانِ الكتابيِّ في مقتلٍ. كيف لنا أن نكونَ متيقنينَ من أن مقاصدَ اللهِ لن تفشلَ إن كان اللهَ محدوداً في سلطانه؟ كيف لنا أن نتأكدَ من أن المسيحَ قام بضمانِ خلاصنا الأبديِّ إن كان اللهَ خاضعاً للزمنِ؟ كيف لنا أن نوكدَ صدقِ مواعيدِ اللهِ إن كان اللهَ يتغيَّرُ؟ وبقدرِ أهميةٍ أن نوكدَ على قُربِ اللهِ – أي تفاعلهِ التامِّ في التاريخِ – لا بد لنا أيضاً أن نوكدَ ما يُعلمُهُ الكتابُ المقدسُ عن صفاتِ اللهِ غيرِ القابلةِ للمشاركةِ.

لكي نفهم صفاتِ اللهِ غيرِ القابلةِ للمشاركةِ، لا بد أن نتمسكَ بقوةٍ بكاملِ نطاقِ وجهاتِ النظرِ الكتابيةِ عن تساميِ اللهِ وعن قُربه. وهذا ليس سهلاً لأننا نصل بسرعةٍ إلى حدودِ قدرتنا البشريةِ في إدراكِ أسرارِ اللهِ. ومثل العديدِ من الموضوعاتِ الصعبةِ الأخرى كالتالوثِ، وطبيعتيِّ المسيحِ، فإننا

نقف وجهًا لوجه أمام حقائق عن الله أبعد من متناول فهمنا. لكن في النهاية، يدعونا الكتاب المقدس لقبول كلاً من تسامي الله وقربه. فإننا نؤيد الحقيقة التامة لكلمات الله غير القابلة للمشاركة، وأيضًا الحقيقة التامة لتفاعل الله مع خلقته.

يُوجزُ المزمور ١١٥: ٣ ببلاغةٍ وُجهةٍ النظرِ الكتابيةِ هذه حينَ يقولُ:

إِنَّ إِلَهَنَا فِي السَّمَاءِ. كُلَّمَا شَاءَ صَنَعَ (مزمور ١١٥: ٣).

لاحظ كيف يرى هذا النصُّ تسامي الله - أي حقيقة أنَّ "الله في السماء" - على أنه الأساس الذي عليه يُمكنُ أن نتيقنَ من أنه "كُلَّمَا شَاءَ صَنَعَ" في الخليفة.

بقدر ما يبدو هذا غامضًا، فإنَّ الله غير محدودٍ، لكن هذا لا يعني أنه لا يتعاملُ مع المحدود. ومن وُجهةٍ النظرِ الكتابيةِ، تحديدًا بسببِ أنَّ الله غير محدودٍ يمكنه أن يدخلَ بالتام إلى عالم ما هو محدودٌ كُلَّمَا شَاءَ.

كما أنَّ الله سرمدِيٌّ، لكن هذا لا يعني أنه خارجَ الزمن. بل سرمدِيَّتُهُ هي السببُ وراءَ أنه يُمكنه أن يشتركَ في إطارِ الزمنِ بأيةِ صورةٍ يُريدها.

أيضًا الله لا يتغيرُ، لكن هذا لا يعني أنه غائبٌ عن مجالِ التغيير. فتحديدًا لكونِ الله لا يتغيرُ في جميعِ كمالاته أنه يتفاعلُ مع خلقته المتغيرة كما يشاء.

كما رأينا، لا بدَّ أن نقبلَ المدى التامَّ للتعاليمِ الكتابيةِ حول تسامي الله وقربه إن أردنا أن نحصلَ على فهمٍ صحيحٍ لصفاتِ الله غير القابلة للمشاركة.

يتحدثُ علماءُ اللاهوت ليس فقط عن تسامي الله، كونه مرتفعًا وممجَّدًا، بل أيضًا عن قُربِ الله، واقترابه وحميمية وجوده. فالله متفاعلٌ على نحوٍ وثيقٍ مع ما يحدثُ في العالم، وهو قريبٌ للغاية مِنَّا. ونرى هذا بصورةٍ فائقةٍ في يسوع المسيح وفي تجسده، حيث صارَ الابنُ غير المنظورِ منظورًا في هيئةٍ بشريةٍ، ودخلَ بالفعل إلى حالتنا البشرية. وأعتقدُ أننا نرى أيضًا قُربَ الله في قُربِ وجودِ الله الروح القدس. وهذا يُعدُّ أحدَ أسرارِ كينونةِ الله وشخصيته. فهو متسامٍ، يفوقنا بكثيرٍ، لكنه أيضًا قريبٌ مِنَّا قُربًا وثيقًا.

— د. فيليب راكين

خلال تناوُلنا لموضوع مدى اختلافِ الله عن خَلِيقَتِهِ، قُمنَا بالبحثِ في كيفيةِ تحديدِ صفاتِهِ غيرِ القابلةِ للمشاركةِ. والآنَ نحنُ على استعدادٍ للتحوُّلِ إلى الموضوعِ الرئيسيِّ الثاني في هذا الدرسِ: وهو اندماجُ صفاتِ الله غيرِ القابلةِ للمشاركةِ مع كمالَتِهِ الأخرى.

الدمج

من المُعتاد أن يُميز علماء اللاهوت النظامي بين صفاتِ الله غيرِ القابلةِ للمشاركةِ وتلكِ القابلةِ للمشاركةِ. لكن تساءل كثيرون عن مدى فائدة هذا التمييز فعلياً. فالكتاب المقدس لا يفصل بين هذه الصفات الإلهية في أقسام. بل في الحقيقة، وكما سنرى في الحال، تعامل كتاب الكتاب المقدس مع جميع الصفات الإلهية باعتبارها مترابطة معاً بشكلٍ وثيق. ولذلك، إن أردنا أن نعرف مدى اختلافِ الله عن خَلِيقَتِهِ، فنحن نحتاج أن نرى أنه يختلف عنَّا في جميع صفاتِهِ. بكلماتٍ أخرى، إن الله متسامٍ، وهو أبعد ما يكون عن المقارنة، ليس فقط في بعض الجوانب، بل في كل جانب من جوانب جوهره الإلهي سوف نستعرض معاً اندماج صفاتِ الله غيرِ القابلةِ للمشاركةِ مع كمالَتِهِ الأخرى في ثلاثِ خُطواتٍ. أولاً، سنتناولُ الأساسَ الكتابيَّ لدمج صفاتِ الله. وثانياً، سنلاحظُ التنوعَ اللاهوتيَّ بين الإنجيليين بشأن هذه الأمور. وثالثاً، سنبحثُ مدى اتساعِ وجهاتِ النظرِ الكتابيةِ اللازمةِ لدمجِ جميعِ صفاتِ الله. دعونا نبدأ بالأساسِ الكتابيِّ لاستكشافِ اندماجِ صفاتِ الله.

الأساس الكتابي

إن الدمجَ بين صفاتِ الله يتوافقُ مع العقيدةِ المسيحيةِ الطويلةِ الأمدِ عن "بساطةِ الله". الله ليس بسيطاً بمعنى أنه من السهلِ إدراكه. فحين يتحدثُ اللاهوتيون عن بساطةِ الله، فما يقصدونه هو أن جوهرَ الله ليس جوهرًا مُركبًا، أو مُنقسمًا. وكما هو مكتوبٌ في الفقرةِ الأولى من إقرارِ إيمانِ أوجسبرج، إن الله "دونَ أجزاءٍ". وكما تُوضِحُ الفقرةُ الأولى من إقرارِ الإيمانِ البلجيكيِّ، إنَّ الله "كائنٌ واحدٌ ... بسيطٌ وروحيٌّ".

لقد جرى نزاعٌ حولَ عقيدةِ البساطةِ على مدى قُرُونٍ. وهي لا تعني أن الله بلا شخصيةٍ، أو تحركٍ، أو ديناميكيةٍ، أو خصائصٍ. كما لا تعني أنه بسيطٌ بمعنى أنه

كائنٌ أفلاطونيٌّ دونَ صفاتٍ. بل ما تعنيه هو أنه، إن جازَ أن أصيغَها هكذا، كائنٌ فريدٌ من نوعه. فهو لا يُضيفُ أيَّ شيءٍ من خارجه إلى نفسه. وهو ليسَ مركباً. وليس مجموعة من الأجزاء موضوعاً معاً كما يعتقدُ بعضُ اللاهوتيين. وهكذا، وكما يقولُ الكتابُ المقدسُ، اللهُ رُوحٌ. والروحُ في الأساسِ هو كائنٌ بسيطٌ، غيرُ مركبٍ، وغيرُ معقدٍ، وغيرُ متعددِ الآلهة. ومرةً أخرى، هذه تُعدُّ عقيدةً معزيةً للغاية لنا لأنها تعني أن إلهنا نقيٌّ، وهو ليسَ مزيجاً من الأشياءِ التي وُضعت في كيانه، أو أنه مركبٌ. وهكذا ليس الأمرُ وكأنه كائنٌ سطحيٌّ، أو دونَ اهتماماتٍ، أو خُططٍ، أو شخصيةٍ، أو محبةٍ، أو صفاتٍ، وإنما كيانه ليسَ تركيباً من أجزاءٍ متنوعةٍ. فهو روحٌ نقيٌّ.

— د. ويليام إدجار

في أثناءِ عصرِ الآباءِ، والعصورِ الوسطى، كان لتأثيرِ الفلسفاتِ الهيلينيةِ على قادةِ اللاهوتِ المسيحيِّ دورٌ في تسهيلِ التأكيدِ على عقيدةِ بساطةِ الله. فوجهاتِ النظرِ الهيلينيةِ عنِ الله ركزتُ على الوحدةِ المطلقةِ أو وحدانيةِ الله. وهذه الخلفيةُ قادتُ مفسريِ الكتابِ المقدسِ إلى أن يكونوا على وعيٍ تامٍّ بهذا الموضوعِ في الكتابِ المقدسِ. لكن في تاريخِ أحدثٍ، وبعد أن خمدَ تأثيرُ الفلسفةِ الهيلينيةِ، تشككَ بعضُ علماءِ اللاهوتِ البارزينِ في أن الكتابِ المقدسِ يُعلمُ عن بساطةِ أو وحدةِ جوهرِ الله. وهكذا من الهامِّ أن نُشيرَ إلى الأساسِ الكتابيِّ لهذه العقيدة. لطالما استُخدمتُ كلماتُ موسى الشهيرةُ في سفرِ التثنية ٦: ٤ لتأييدِ الاعتقادِ في بساطةِ الله. ففي هذا العددِ نقراً:

اسْمَعِ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ (تثنية ٦: ٤).

وقد قدَّمَ المترجمونَ المعاصرونَ العديدَ من الترجماتِ البديلةِ: "الرَّبُّ إِلَهُنَا هُوَ رَبٌّ وَاحِدٌ؛ "الرَّبُّ هُوَ إِلَهُنَا، الرَّبُّ وَاحِدٌ؛" أو "الرَّبُّ هُوَ إِلَهُنَا، الرَّبُّ وَاحِدٌ."

ومن لا يرونَ بساطةَ الله في هذا النصِّ يقولونَ إنه يدعو إسرائيلَ لعبادةِ يهوه وحده دون أيِّ إلهٍ آخر. لكن الترجمةَ الكلاسيكيةَ لعبارةِ "رَبٌّ وَاحِدٌ" تدلُّ على وحدانيةِ أو وحدةِ الله نفسه. وعلى الرغمِ من تأييدِ اللغةِ العبريةِ لكلا الاحتمالين، لكن يوجدُ سببٌ وجيهٌ لاعتقادِ أن موسى كان يقصدُ المعنى الأخيرَ.

يمكننا أن نقول عدة أشياء تأييداً للترجمة الكلاسيكية، لكن يكفي أن نُصيغ الأمر هكذا: في سفر التثنية، دعا موسى شعب إسرائيل لأن يكونوا أوفياءً تُجاه الله وأن يتحولوا عن جميع الآلهة الأخرى. ونعلم أنه، في بعض الأحيان، مال بنو إسرائيل إلى الارتداد التام بالرفض الكامل للرب، وعبادة آلهة الأمم الأخرى. ولكن في أغلب الأحيان، سقطوا في خطية المزج بين المعتقدات، فخلطوا معتقدات وممارسات الأمم الأخرى ودياناتهم مع ديانتهم. وقد كانت أولئك الأمم تشير إلى آلهتها، مثل البعل، وعشتاروث، وآلهة أخرى، بصيغة الجمع، لأنهم اعتقدوا أن هذه الآلهة كانت منقسمة في مواضع مختلفة. فهم اعترفوا بهذه الآلهة بطريقة ما في موضع ما، وبطريقة أخرى في موضع آخر. في المقابل، علم موسى إسرائيل مراراً وتكراراً بأن الله لا بد أن يُعبد في الموضع الوحيد الذي عينه الله. فهو على خلاف آلهة الأمم الأخرى، لا يمكن أن ينقسم إلى أجزاء بين موضع والآخر لأنه "رب واحد". وبهذا المعنى إذن، يضع سفر التثنية ٦: ٤ الأساس للعقيدة المسيحية عن بساطة الله، أي حقيقة أن الله غير منقسم إلى أجزاء. في الترجمة الحرفية لنص رسالة يعقوب ٢: ١٩، أكد يعقوب على هذا الفهم عن تثنية ٦: ٤ حين قال:

أَنْتَ تُوْمِنُ أَنَّ اللَّهَ وَاحِدٌ. حَسَنًا تَفْعَلُ (يعقوب ٢: ١٩).

لم يكتب يعقوب: "أنت تؤمن أنه يوجد إله واحد"، كما تقول بعض الترجمات، بل قال حرفياً: "أنت تؤمن أن الله واحد". وبهذا، أكد يعقوب على أن سفر التثنية ٦: ٤ يُعلم عن وحدانية الله، ووحدته، وبساطته.

إن للعقيدة الكتابية عن البساطة الإلهية العديد من التطبيقات بالنسبة للعقيدة عن الله. لكن كما نرى هنا، تضع هذه العقيدة الأساس الكتابي للبحث في اندماج صفات الله. فكالات الله ليست أجزاءً مختلفة من الله. بل هي صفات موحدة جميعها بالكامل، ومتصلة ببعضها البعض في جوهره. بوضع هذا الأساس الكتابي عن اندماج صفات الله في اعتبارنا، لا بد أن نتحول إلى موضوع آخر: التنوع اللاهوتي بين المنهجيات الإنجيلية لدمج كالات الله القابلة للمشاركة وتلك غير القابلة للمشاركة.

التنوع اللاهوتي

كما رأينا سابقاً في هذا الدرس، على الرغم من استخدام الإنجيليين لمصطلحات متنوعة لإيجاز صفاتِ الله غير القابلة للمشاركة، لكن هناك قدر كبير من الاتفاق فيما بينهم. ومن جوانب عديدة، ينطبق الأمر نفسه على موضوع الدمج بين صفاتِ الله غير القابلة للمشاركة وتلك القابلة للمشاركة. فقد تم التعبير عن هذا الاندماج بعدة أساليب. ومع ذلك، إلى حدِّ ما، أكَّدَ الإنجيليون باستمرار على قيمة الدمج بين هاتين الفئتين من الصفات.

كي نتعرَّفَ على هذا التنوع اللاهوتي بين الإنجيليين، دعونا ننظرُ مرةً أخرى إلى الثلاثِ الوثائق التي ذكرناها فيما سبق. أولاً، سنفحصُ إقرارَ إيمانِ أوجسبرج، ثم سننظرُ إلى إقرارِ الإيمانِ البلجيكي. وثالثاً، سنمضي بعضَ الوقتِ مع دليلِ أسئلةٍ وأجوبةٍ وستمنستر المَوْجَز. لنتناولُ أولاً، إقرارَ إيمانِ أوجسبرج.

إقرارِ إيمانِ أوجسبرج

ربما تتذكرونَ أن الفقرةَ الأولى من إقرارِ إيمانِ أوجسبرج تشيرُ إلى الله بأنه:

سرمديٌّ، دونَ جسدٍ، دونَ أجزاءٍ، له قوةٌ، وحكمةٌ، وصلاحٌ غيرَ محدودين.

كما ذكرنا فيما سبق، ترتبطُ المصطلحاتُ سرمديٌّ، ودونَ جسدٍ، ودونَ أجزاءٍ، وغيرُ محدودٍ كثيراً بصفاتِ الله غير القابلة للمشاركة لأنه يختلفُ عن خَلِيقَتِهِ في هذه الجوانبِ. أما الثلاثةُ المصطلحاتُ الأخيرةُ، قوةٌ، وحكمةٌ، وصلاحٌ، فهي تُعرَّفُ عادةً على أنها صفاتُ الله القابلة للمشاركة، لأننا يمكننا أن نشتركَ في هذه الصفاتِ مع الله على مستوى محدودٍ.

لكن لاحظُ أن الإقرارَ لا يتعاملُ مع هذه التقسيماتِ باعتبارها منفصلةً تماماً. فهو لا يتحدثُ ببساطةٍ عن قُوَّةِ الله، وحكمتِهِ، وصلاحِهِ. بل يضيفُ صفةً "غيرَ محدودٍ" لها أو *immensus* باللغة اللاتينية. فإن قواعدَ اللغةِ للنصِّ اللاتينيِّ تشيرُ إلى أن الله غيرُ محدودٍ في قُوَّتِهِ، وغيرُ محدودٍ في حكمتِهِ، وغيرُ محدودٍ في صلاحِهِ.

في واقعِ الأمرِ، ينظرُ إقرارُ إيمانِ أوجسبرج عبرَ عدمِ محدوديةِ الله، أي عبرَ حقيقةِ كونه

غير خاضع لحدودٍ، ويرى قوته، وحكمته، وصلاحه في ضوء عدم محدوديته. وبهذا، يعترف إقرار الإيمان بأن صفة عدم محدودية الله غير القابلة للمشاركة لا بد أن تندمج بالكامل مع صفاته القابلة للمشاركة.

يمكننا أن نرى التنوع اللاهوتي في منهجيات تناول صفات الله بمقارنة ما قد رأيناه تَوًّا في إقرار إيمان أوجسبرج بالفقرة الأولى من إقرار الإيمان البلجيكي.

إقرار الإيمان البلجيكي

يقول إقرار الإيمان البلجيكي إن الله:

سرمدي، غير مُدرِك، غير منظور، ثابت، غير محدود، قدير، وكامل الحكمة، والعدل، والصالح.

وقد ذكرنا قبلاً أن المصطلحات سرمدي، وغير مُدرِك، وغير منظور، وثابت، وغير محدود تُصنَّف على أنها صفات غير قابلة للمشاركة. أما الأربعة المصطلحات الأخيرة، فهي عادة ما ترتبط بصفات الله القابلة للمشاركة. لكن لاحظ أن تلك الصفات الأربعة الأخيرة لم يتم سردها هكذا، قدير، وحكيم، وعادل، وصالح. وعلى الرغم من أن ترجماتنا الإنجليزية المعروفة لا توضِّح هذا، لكن اللغة الفرنسية الأصلية هنا تستخدم عبارات "tout puissant" والتي تعني "تام أو كامل القدرة"، وعبارة "tout sage"، والتي تعني "تام أو كامل الحكمة". بالإضافة إلى ذلك، يمكن للصفة "tout" أن تمتد ضمناً إلى الكلمات "عادل" و"صالح"، حتى أننا نترجمهما "كامل العدل" و"كامل الصالح".

بطريقة تُشبه إقرار إيمان أوجسبرج، ينظر إقرار الإيمان البلجيكي، من خلال حقيقة أن الله غير محدود ويرى قدرته، وحكمته، وعدله، وصلاحه في ضوء عدم محدوديته. وعلى الرغم من عدم استخدام إقرار الإيمان البلجيكي للكلمات نفسها تحديداً أو التقسيمات نفسها التي في إقرار إيمان أوجسبرج، لكن يمكننا أن نرى أوجه التشابه.

أخذين في الاعتبار التنوع اللاهوتي الذي رأيناه بين إقرار إيمان أوجسبرج وإقرار الإيمان البلجيكي، دعونا ننتقل إلى السعي الأكثر كثافة وراء دمج الصفات، الذي يظهر في دليل أسئلة وأجوبة وستمنستر المُوجز.

دليل أسئلة وأجوبة وستمنستر الموجز

كما نتذكرون، فإن الجواب على السؤال ٤١ من دليل وستمنستر يبدأ بالتصريح التالي:

الله روح.

ثم يسرد ثلاث صفات غير قابلة للمشاركة عن الله باعتباره روحًا:

غير محدود، وسرمدي، وغير متغير.

ولكن بدلًا من أن يسمح لنا الدليل بالتفكير في هذه الكمالات غير القابلة للمشاركة بانفصال عن بعضها، فإنه يفسر لنا أن هذه الثلاث الصفات جميعها تنطبق على الله:

في كينونته، وحكمته، وقوته، وقداسته، وعدله، وصلاحه، وأمانته.

إن استراتيجية دليل وستمنستر لدمج صفات الله تقدم لنا العديد من المميزات. أول كل شيء، يستخدم الدليل ثلاث فئات كبرى لإيجاز صفات الله غير القابلة للمشاركة. إلى أي مدى يختلف الله عن خلقته؟ هو "غير محدود، وسرمدي، وغير متغير". ثم يجيب الدليل عن سؤال كيف أن الله غير محدود، وسرمدي، وغير متغير بالنظر عبر هذه الثلاث النوافذ، أو الصفات، إلى صفاته القابلة للمشاركة. فالله غير محدود "في كينونته، وحكمته، وقوته، وقداسته، وعدله، وصلاحه وأمانته". وسرمدي "في كينونته، وحكمته، وقوته، وقداسته، وعدله، وصلاحه، وأمانته". أيضًا الله غير متغير "في كينونته، وحكمته، وقوته، وقداسته، وعدله، وصلاحه، وأمانته". في الواقع، يمدنا دليل وستمنستر الموجز بطريقة منهجية لاستكشاف الدمج الكامل بين صفات الله غير القابلة للمشاركة وصفاته القابلة للمشاركة.

الآن وقد نظرنا إلى اندماج صفات الله غير القابلة للمشاركة مع صفاته الأخرى من خلال تناولنا الأساس الكتابي والتنوع اللاهوتي بين الإنجيليين في هذا الشأن، دعونا نستكشف قيمة أن نأخذ في اعتبارنا اتساع وجهات النظر الكتابية في هذه الأمور.

وجهات النظر الكتابية

إن الغرض من كل ما ذكرناه في هذا الدرس هو مساعدتنا على إجابة هذا السؤال: "إلى أي مدى يختلف الله عن خليقته؟" وكما ذكرنا، يختلف الله عن خليقته في جميع كمالاته. ويوجهنا الكتاب المقدس في هذا الاتجاه بطرق عديدة، حتى أنه لا يمكننا إلا أن نتطرق إلى بعض وجهات النظر الكتابية هذه. لكن هذا هو جوهر الأمر: عندما نتناول النطاق الكامل لما يُعلمه الكتاب المقدس، يزداد الأمر وضوحًا، أن جميع صفات الله، وليس فقط البعض منها، هي غير قابلة للمشاركة. سوف نوضح ما نقصده من خلال اتباعنا لاستراتيجية السؤال الرابع وإجابته في دليل وستمنستر المُوَجَّز. وكما ذكرنا سابقًا، يقدم هذا الدليل تلك الأمور على نحوٍ نظاميٍّ بذكره أن الله غير محدودٍ، وسرمديٍّ، وغير متغيرٍ في كلِّ صفةٍ من صفاته القابلة للمشاركة التي يحددها. وكي نرى مدى اتساع وجهات النظر الكتابية بخصوص الدمج بين صفات الله، سنتناول الصفات السبع القابلة للمشاركة المذكورة في الدليل، وسنبداً بكيونونة أو وجود الله.

الكيونونة

من عدة نواحٍ، تُعدُّ كيونونة أو وجودُ الله صفةً قابلةً للمشاركة، أو صفةً يشترك فيها الله مع خليقته. فنحن نعلم أن كل ما خلقه الله، بما في ذلك البشر، موجودٌ بالفعل. لكننا نخفق في استيعاب مجد وجود الله إن لم نُقر بوجود اختلافٍ جوهريٍّ بين كيونونة الله وكيونونتنا. فكيونونتنا محدودةٌ، وزمنيةٌ، ومتغيرةٌ، أما كيونونة الله فهي غير محدودةٍ، وسرمديَّةٌ، وغير متغيرةٍ. لطالما تمَّ تسليط الضوء في اللاهوت النظامي الكلاسيكي على الاختلاف بين كيونونة الله وكيونونة الخليقة بطريقتين رئيسيتين. فقد أشار علماء اللاهوت النظامي إلى "ضخامة" الله و"وجوده الكلي".

من ناحيةٍ، تُعدُّ ضخامةُ الله هي وجوده غير المحدود، والسرمديُّ، وغير المتغير الذي يسمو فوق الخليقة. في سفر ١ ملوك ٨: ٢٧، حين دشن سليمان الهيكل، أكد على افتراضٍ مُسبقٍ لاهوتيٍّ جوهريٍّ يُشكّل الأساس في كلِّ شيءٍ في الكتاب المقدس. فقد قال: "سَمَاءُ السَّمَاوَاتِ لَا تَسَعُ [الله]". فالله يختلف عن خليقته في أن وجوده غير محدودٍ بأيِّ صورةٍ من الصور بعالمٍ ونطاقٍ خليقته. بل هو كان موجودًا قبل أن تُوجدَ خليقةٌ، وهو موجودٌ الآن دون أيِّ حدودٍ، وسيستمرُّ وجوده إلى الأبد على نحوٍ يسمو فوق كلِّ الخليقة.

من ناحيةٍ أخرى، يمكنُ تعريفُ وجودِ اللهِ الكليِّ على أنه وجودُهُ في كلِّ مكانٍ في الخليقةِ. يشيرُ علماءُ اللاهوتِ النظاميِّ إلى أن كينونةَ الله، على نقيضِ أيِّ جانبٍ من جوانبِ الخليقةِ المحدودة، والتي يحصرُها الزمنُ، والمتغيرةُ، هي في كلِّ المواضعِ. كما قال اللهُ في سفرِ إرميا ٢٣: ٢٤: "أما أَمْلاً أَنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ؟" فالإيمانُ بوجودِ اللهِ الكليِّ هو أمرٌ جوهريٌّ للغاية للإيمانِ الكتابيِّ حتى أن بولسَ في سفرِ أعمالِ الرسلِ ١٧: ٢٨، اتفقَ مع الشعراءِ اليونانيينِ على أننا "في [الله] نَحْيَا وَنَتَحَرَّكُ وَنُوجَدُ". وبعضُ النصوصِ الأخرى، مثلُ المزمورِ ١٣٩: ٧-١٠؛ وسفرِ إشعياءَ ٦٦: ١، وسفرِ أعمالِ الرسلِ ٧: ٤٨-٤٩، أيضاً تتطرقُ إلى موضوعِ وجودِ اللهِ الكليِّ.

إنَّ النصَّ الكلاسيكيَّ الذي بُنيتَ عليه عقيدةُ الوجودِ الكليِّ لله هو أعمالُ الرسلِ ١٧: ٢٤-٢٨ الذي فيه يتكلَّم بولسُ في أثينا، ويندهشُ من قُدرةِ اللهِ على الوصولِ حتى إلى هؤلاءِ الأممِ الوثنيينِ. وهكذا، وكجزءٍ مما قاله لتفسيرِ هذا، يقولُ إنَّ اللهَ ليسَ إلهَ اليهودِ فحسب، بل هو إلهُ جميعِ الشُّعوبِ في كلِّ مكانٍ، في جميعِ أنحاءِ الأرضِ. ثمَّ بعدَ هذا يذكرُ شيئاً عالمياً، وكونياً. وطوالِ الوقتِ، كانَ يتفوهُ بهذا التعليقِ عن الله: أنَّ اللهَ عن كلِّ واحدٍ منَّا ليسَ ببعيدٍ، سواءً مؤمنٍ يهوديٍّ أو وثنيٍّ. بل في حقيقةِ الأمرِ، هو الإلهُ الذي "به نحيا ونتحركُ ونوجدُ"، أي أنه في كلِّ مكانٍ. أما النصُّ الآخرُ الذي يُمكنُ دمجهُ مع نصِّ أعمالِ الرسلِ ١٧: ٢٤-٢٨ هو نصُّ إرميا ٢٣: ٢٣-٢٤ الذي يعنِي في الأساسِ أنك لا يُمكنكُ الابتعادُ عنِ اللهِ. فلا يوجدُ موضعٌ للاختباءِ. يُمكنكُ أن تهربَ، لكن لا يُمكنكُ أن تختبئَ. وجزءٌ مما كان إرميا يقولُهُ يرجعُ إلى أن اللهَ يملأُ الأرضَ كلَّها.

— د. آر. تود مانجم

بالإضافةِ إلى كينونةِ اللهِ، يؤكِّدُ الدليلُ الموجزُ أيضاً على أنَّ حكمةَ اللهِ غيرَ محدودةٍ، وسرمديَّةٍ، وغيرِ متغيرةٍ.

الحكمة

من عدةِ أوجهٍ، تُعدُّ الحكمةُ صفةً من صفاتِ اللهِ القابلةِ للمشاركةِ، التي تشتركُ فيها معه المخلوقاتُ العاقلةُ. لكن بغضِّ النظرِ عن قدرِ الحكمةِ التي نمتلكُها، فإنَّ الكتابَ المقدسَ والإعلانَ

العامّ يوضحان أن حكمتنا محدودة، وزمنية، ومتغيرة. وهكذا، فإن إحدى نواحي اختلافِ الله عن خليقته هي أن حكمته غير محدودة، وسرمديّة، وغير متغيرة.

عادةً ما يُسلطُ علماء اللاهوتِ النظاميِّ الكلاسيكيون الضوءَ على الأبعادِ غيرِ القابلةِ للمشاركةِ لحكمةِ الله وذلك بالإشارةِ إلى علمِ الله الكليِّ وإلى عدمِ قابليّةِ إدراكِهِ.

إن علمَ الله الكليِّ هو أن الله يمتلكُ معرفةً بكلِّ شيءٍ. ويشيرُ سفرُ أيوبَ ٣٧: ١٦ إلى كمالِ معرفةِ الله. وتقولُ رسالةُ العبرانيينَ ٤: ١٣ أن "لَيْسَتْ خَلِيقَةً غَيْرَ ظَاهِرَةٍ قُدَّامَهُ". كما يقولُ المزمورُ ٣٣: ١٥ إن الله مُنْتَبِهٌ إِلَيَّ - أو يُدْرِكُ - كُلَّ أَعْمَالِ الْبَشَرِ. وتوضِّحُ العديدُ من النصوصِ الأخرى علمَ الله الكليِّ بالإشارةِ إلى أشياءَ يَعْلَمُها الله ولا نَعْلَمُها نحنُ. على سبيلِ المثالِ، في سفرِ إرميا ٢٣: ٢٤، سألَ الله هذا السؤالَ: "إِذَا اخْتَبَأَ إِنْسَانٌ فِي أَمَاكِنَ مُسْتَتِرَةٍ أَفَمَا أَرَاهُ أَنَا؟"

كما ينتمُ أيضًا التركيزُ على السِمةِ غيرِ القابلةِ للمشاركةِ في حكمةِ الله من خلالِ عقيدةِ عدمِ إدراكِ الله. لا يعني هذا المصطلحُ أننا لا يمكننا أن نعلمَ شيئاً عن فكرِ الله. بل على النقيضِ، نحنُ نعلمُ أجزاءً من أفكارِهِ إذ هو يُعلنُها لنا. إلا أن حكمةَ الله هي غيرُ قابلةٍ للمشاركةِ من حيثُ أن أفكارِ الله لا يمكنُ معرفتها بالكامل. كما قال بولسُ في رسالةِ روميةِ ١١: ٣٣، إن أحكامَ الله وطرقَهُ "بعيدةٌ عن الفحصِ... بعيدةٌ عن الاستقصاءِ". ويقولُ سفرُ أيوبَ ١١: ٧ إننا لا يمكننا أن "نتصلَ إلى عمقِ الله". كما يقولُ المزمورُ ١٣٩: ١٦ إن معرفةَ الله عجيبةٌ... لا يمكنُ الوصولُ لها. كما تشيرُ نصوصٌ شبيهةٌ مثلُ سفرِ ١ صموئيلَ ١٦: ١٧؛ وسفرِ ١ أخبارِ الأيامِ ٢٨: ٩؛ والمزمورِ ١٣٩: ٤-١؛ وسفرِ إرميا ١٧: ١٠ أيضًا إلى أن إحدى النواحي التي تميّزُ الله عن خليقته هي أن حكمته، على خلافنا، غيرُ محدودةٍ وسرمديّةٍ وغيرُ متغيرةٍ.

إنَّ حكمةَ الله هي الأفكارُ الساميةُ التي تنتمي لله، والتي يرغبُ في أن يشاركنا بها. فإنَّ حكمته هي نوعُ الحياةِ التي يريدنا أن نحياها. لكنَّ هذا يفوقنا. و فقط بنعمةِ الله تُتاحُ لنا الفرصةُ للوصولِ إلى ذلك النوعِ من مُستوى الحياةِ. نحتاجُ إلى هذه الأفكارِ الساميةِ عن الله، وبالتالي نحتاجُ بالطبع إلى رُوحِهِ القُدوسِ أن يأتي ليحيا فينا حتى لا نحيا هكذا فحسب، بل نفكرُ هكذا، ونقولُ للآخرين: "هذا هو الطريقُ إلى الحكمةِ".

— د. مات فريدمان

في المقام الثالث، ليس الله غير محدود، وسرمدياً، وغير متغير في كينونته، وحكمته فحسب، بل أيضاً في قوته.

القوة

يشير كل من الكتاب المقدس والإعلان العام إلى أن قوة الله، من عدة أوجه، هي صفة قابلة للمشاركة لأن القوة هي صفة تشترك فيها الخليقة. لكن حتى أعظم السلاطين في الخليقة هي محدودة، وزمنية، ومتغيرة. وهكذا، يعلم الكتاب المقدس بوضوح عن النواحي التي تجعل قوة الله هي صفة غير قابلة للمشاركة.

هذه المقابلة بين قوة الله والخليقة يُعبر عنها في أغلب الأحيان في اللاهوت النظامي بمفردات "القدرة الكلية" لله و"سيادة" الله.

من ناحية، حين نتحدث عن قدرة الله الكلية، فإننا نعني أن الله قادر على كل شيء. على سبيل المثال، في سفر أيوب ٤٢: ٢، تعجب أيوب وقال "أَتَكَّ تَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ". كما يقول المزمور ١١٥: ١٣ "إِلَهِنَا... كُلَّمَا شَاءَ صَنَعَ". ويسبح سفر إرميا ٣٢: ١٧ الله بالقول "لَا يَعْسُرُ عَلَيْكَ شَيْءٌ". وفي إنجيل متى ١٩: ٢٦ طمأن يسوع تلاميذه بأن "عِنْدَ اللَّهِ كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ".

والآن، لا بد أن نحرص هنا على إضافة سمة أخرى هامة: إن سلطان الله دائماً في توافق مع صفاته الأخرى. فهو لا يمكنه أن يعمل أعمالاً تناقض كماله جوهره الأخرى. على سبيل المثال، يعلن الكتاب المقدس بوضوح عن بعض الأشياء التي لا يستطيع الله أن يعملها. فإننا نتعلم أن الله لا يمكنه أن يكذب، أو يخطئ، أو يتغير، أو ينكر نفسه في نصوص مثل سفر العدد ٢٣: ١٩؛ وسفر ١ صموئيل ١٥: ٢٩؛ ورسالة ٢ تيموثاوس ٢: ١٣؛ ورسالة العبرانيين ٦: ١٨ ورسالة يعقوب ١: ١٣، ١٧. وإن وضعنا هذه السمة في اعتبارنا، يمكننا حينئذ أن نتيقن من كون الله كلي القدرة بمعنى أن قوته غير محدودة، وسرمدية، وغير متغيرة.

إن نصوص الكتاب المقدس التي تبدو أنها تشير إلى وجود بعض الأشياء التي لا يستطيع الله أن يعملها هي في حقيقة الأمر لا تتحدث بالفعل عن المعنى الحقيقي لقدرة الله الكلية. فهو يستطيع أن يعمل فقط ما هو متوافق مع طبيعته. فسيكون من غير المتوافق على الإطلاق مع طبيعته الإلهية أن يكذب. وهكذا توجد بعض الأشياء التي لا يستطيع الله أن يعملها، لكن هذا يكمن بالكامل في نطاق طبيعته.

— ق. كليت هوكس

من الجانب الآخر، يشير علماء اللاهوت النظامي إلى صفة قوة الله غير المحدودة، والسرمدية، وغير المتغيرة على أنها "سيادة الله". وببساطة، إن سيادة الله هي تحكّمه المطلق في الخليقة.

تختلف فروع الكنائس المتنوعة حول الكيفية المحددة التي بها يمارس الله تحكّمه السيادي في الخليقة. وسوف نتناول هذه القضايا في درس لاحق. لكن في هذه المرحلة، ينبغي أن نذكر ببساطة أن الكتاب المقدس يُعلم أن لدى الله قوة غير محدودة، وسرمدية، وغير متغيرة للسيطرة على كل شيء. وكما صرح الملك يهوشافاط في سفر أخبار ٢٠: ٦ قائلاً: "بيدك قوة وجبروت وليس من يقف معك". أو كما قيل في سفر أيوب ٤٢: ٢ "لا يعسر عليك أمر". وفي سفر دانيال ٤: ٣٥، حتى الملك نبوخذناصر نفسه أقر بأن الله "يفعل كما يشاء" في جند السماء وسكان الأرض. ووفقاً لما جاء في رسالة أفسس ١: ١١، إن سيادة الله شاملة وشديدة جداً حتى أنه "يعمل كل شيء حسب رأي مهيئته". وتؤكد لنا رسالة رومية ٨: ٢٨ على سيادة الله حتى في أوقات التجارب القاسية "كل الأشياء تعمل معاً للخير للذين يحبون الله". هذه النصوص ونصوص أخرى لا تُحصى تشير بوضوح إلى أن سيادة الله غير محدودة، وسرمدية، وغير متغيرة.

بالإضافة إلى تناول دليل وستمنستر الموجز لكيونة الله، وحكمته، وقوته، فهو يُشير أيضاً إلى أن الله غير محدود، وسرمدية، وغير متغيرة في قداسته.

القداسة

من عدة نواحٍ، تُعد القداسة صفة من صفات الله القابلة للمشاركة لأن بعض جوانب الخليقة تشترك فيها. فإن كلمة الله تُشير كثيراً إلى مواضع، وأشياء، وأرواح، وأناس بأنهم مقدسون. والصفات الكتابية التي نترجمها عادةً "قدوس"، "مقدس"، أو "مكرس" - وفي اللغة العبرية "قادوش" (קָדוֹשׁ)، وفي اللغة اليونانية "أجيوس" (ἅγιος) - تعني ببساطة "منفصل" أو "مخصص جانباً". لكن كلاً من الإعلان العام والكتاب المقدس يوضحان أن قداسة المخلوقات محدودة، وزائلة، ومتغيرة، بينما قداسة الله غير محدودة، وسرمدية، وغير متغيرة.

في اللاهوت النظامي، غالباً ما يتناول اللاهوتيون خصائص قداسة الله غير القابلة للمشاركة من خلال استرعاء الانتباه تجاه قداسة الله الأدبية. وهم أيضاً يسلطون الضوء على ما يمكن أن

يُطلق عليه قداسته المهيبة.

من ناحية، تُشير قداسة الله الأدبية إلى حقيقة أن الله منفصلٌ عن كلِّ شرٍّ. كما هو مكتوبٌ في المزمور ٩٢: ١٥ "لَا ظَلَمَ فِيهِ." وكما يتعجبُ سفرُ حَبْقُوقَ ١: ١٢-١٣: "إِلَهِي قُدُوسِي... عَيْنَاكَ أَطَهَّرُ مِنْ أَنْ تَنْظُرَا الشَّرَّ، وَلَا تَسْتَطِيعُ النَّظَرَ إِلَى الْجَوْرِ." فإن طهارة الله الأدبية أمرٌ أساسيٌّ للغاية بالنسبةً للإيمان الكتابي حتى أن يعقوب كتبَ بيقينٍ في رسالة يعقوب ١: ١٣ "اللَّهُ غَيْرُ مُجَرَّبٍ بِالشَّرِّ، وَهُوَ لَا يُجَرَّبُ أَحَدًا."

من الناحية الأخرى، يشير الكتاب المقدس أيضًا إلى ما أطلق عليه قداسة الله المهيبة. وهذا المصطلح يبيِّن أن الله منفصلٌ عن كلِّ الخليقة، بما في ذلك مخلوقاته الطاهرة أدبيًا.

إنَّ الفارقَ بين قداسة الله الأدبية وقداسته الوجودية أو المهيبة، إن جازَ التعبير، يرجعُ إلى الفكرة القديمة عما تعنيه كلمة "قُدُوسٌ"، والتي تعني في الأساس "منفصلٌ عن". وهناك شيان يُعدُّ الله منفصلًا عنهما. أولُ كلِّ شيءٍ، هو منفصلٌ عن الخطاة. فهو طاهرٌ، ولا يخطئُ البتة، وهو كاملُ البرِّ، ولهذا هو منفصلٌ عن الخطاة في هذا الشأن - فهو كاملٌ أدبيًا، وطاهرٌ، وقُدُوسٌ. لكن هناك جانبٌ آخر يُعبِّرُ عن قداسة الله. وهو أنه أسمى منَّا، يختلفُ عنَّا، وهو ذو طبيعةٍ مختلفةٍ وذو حالةٍ وُجُودِيَّةٍ مختلفةٍ - هو كائنٌ أسمى - وهو أيضًا من هذا الجانبِ قُدُوسٌ. فإنَّ طرقَهُ وأفكارَهُ تَعَلُّو عَنَّا كَثِيرًا. ولهذا، فإنَّ الله قُدُوسٌ أي منفصلٌ في كينونته وفي بَرِّ شخصيته.

— ق. دان هاندلي

تتضحُ قداسةُ الله المهيبةُ في سفرِ إشعياء ٦: ٣ حيثُ يصرخُ السيرافيمُ:

قُدُوسٌ، قُدُوسٌ، قُدُوسٌ رَبُّ الْجُنُودِ (إشعياء ٦: ٣).

في هذا النصِّ، يُقرُّ السيرافيمُ، الذين هم مخلوقاتٌ طاهرةٌ أدبيًا تخدمُ أمامَ عرشِ الله، بأنَّ العبادةَ واجبةٌ لله باعتباره قُدُوسًا مثلًا، فائقًا تمامًا في قداسته. وتظهرُ تعبيراتٌ مماثلةٌ عن قداسة الله المهيبة في نصوصٍ مثل سفر الخروج ١٥: ١١؛ وسفر صموئيل ٢: ٢؛ وسفر إشعياء ٥٧: ١٥؛

وسفر هوشع ١١: ٩.

لا يتوقف الأمر عند كون الله غير محدود، سرمدياً، وغير متغير في كينونته، وحكمته، وقوته، وقداسته، بل هذه الخصائص غير القابلة للمشاركة أيضاً تميز عدله.

العدل

من عدة أوجه، يقوم كل من الإعلان العام والخاص بالإشارة إلى أن العدل هو صفة قابلة للمشاركة لأن المخلوقات الأدبية، وخاصة البشر، يمكنهم أن يكونوا عادلين وأبراراً. فإن مفهوم عدل الله يتم التعبير عنه عادةً من خلال مجموعة المصطلحات العبرية المرتبطة بكلمة "صديق" (צדיק)، ومجموعة المصطلحات اليونانية المتصلة بكلمة "ديكاوسوني" (δικαιοσύνη). وعادة ما تُترجم هذه الكلمات "بر" أو "عدل". لكن في حين أن البر والعدل البشري محدود، وزمني، ومتغير، لكن بر الله أو عدله غير محدود، وسرمدى، وغير متغير.

إن صفة عدل الله عادةً ما تكون مرتبطة في الكتاب المقدس بأحكام قضائه السماوي. وكما هو مكتوب في رسالة ١ بطرس ١: ١٧، أن لنا أباً "يُحْكَمُ بِغَيْرِ مُحَابَاةٍ حَسَبَ عَمَلٍ كُلِّ وَاحِدٍ". ووفقاً لما جاء في رسالة رومية ٢: ٥-٦ أنه في "دَيْئُونَةِ عَادِلَةٍ، سَيَجَازِي اللهُ كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ أَعْمَالِهِ". ولأن أحكام الله دائماً حق، ففي رسالة رومية ٩: ١٤، سأل بولس هذا السؤال: "أَلَعَلَّ عِنْدَ اللهِ ظُلْمًا؟"، وكانت إجابته الحاسمة: "حاشاً!". وقد قال موسى في سفر التثنية ٣٢: ٤ "جَمِيعَ سُبُلِهِ عَدْلٌ... صِدِّيقٌ وَعَادِلٌ هُوَ". وهكذا، ليس من العجيب أن يدعو يسوع أباه السماوي في إنجيل يوحنا ١٧: ٢٥ "أَيُّهَا الْآبُ الْبَارُّ" أو العادل.

وقد لفت علماء اللاهوت النظامي انتباهنا إلى عدل الله من خلال تركيزهم على جانبين رئيسيين: مجازة الله العادلة، وعقوباته العادلة.

من ناحية، إن طبيعة الله هي أن يمنح مجازة عادلة على البر. كما هو مكتوب في المزمور ٥٨: ١١ "إِنَّ لِلصِّدِّيقِ نَمْرًا [لأنه] يُوجَدُ إِلَهُ قَاضٍ فِي الْأَرْضِ". وقد أشار بولس إلى البر الذي يأتي لجميع من تبرروا في المسيح، حين تحدث في رسالة ٢ تيموثاوس ٤: ٨ عن "إِكْلِيلِ الْبِرِّ، الَّذِي يَهْبُهُ... الرَّبُّ الدَّيَّانُ الْعَادِلُ... لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ ظُهُورَهُ". وقد يبدو أحياناً أنه لا جزاء عن البر. لكن يمكننا أن نتيقن من مجازة الله العادلة لأن الله يظل غير محدود، وسرمدى، وغير متغير في عدله.

من ناحية أخرى، من طبيعة الله أن يهب عقوبات عادلة على الشر. في رسالة ٢ تسالونيكي

١: ٦-٨، أصر بولس على أنه "عَادِلٌ عِنْدَ اللَّهِ أَنْ الَّذِينَ لَا يَعْرِفُونَ اللَّهَ، وَالَّذِينَ لَا يُطِيعُونَ إِنْجِيلَ رَبَّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ سَيُعَاقَبُونَ." وفي سفر أعمال الرسل ١٧: ٣١ دعا بولس إلى التوبة لأنَّ "[الله] أَقَامَ يَوْمًا هُوَ فِيهِ مُزِمِعٌ أَنْ يَدِينَ الْمَسْكُونَةَ بِالْعَدْلِ بِرَجُلٍ قَدْ عَيَّنَّهُ". وفي حقيقة الأمر، إن معاقبة الله العادلة للخطية كانت من أعمدة الإيمان الكتابي. كما قال بولس في رسالة رومية ٣: ٢٦، إن الله "بَارًا وَيُبَرِّرُ" لأن كفارة المسيح أوفت مطالب العدل نيابةً عن جميع من يؤمنون. هذه النصوص ونصوص أخرى كثيرة تلفت الانتباه إلى أن عدل الله غير المحدود، والسرمدي، وغير المتغير يظهر في عقوباته العادلة.

يُشِيرُ الدليلُ المَوْجَزُ بعدَ الحديثِ عن كينونةِ الله، وحكمته، وقوته، وقداسته، وعدله إلى صلاح الله.

الصلاح

إن الصلاح من عدة أوجه هو صفة قابلة للمشاركة لأن الكتاب المقدس كثيرًا ما يشير إلى الخليفة بأنها حسنة أو سالحة. ففي سفر التكوين ١: ٣١، نظرَ الله إلى خليفته وقال إنها "حسنةٌ جدًا." وقد أكد بولس مرةً أخرى على هذا التصريح الإلهي في رسالة ١ تيموثاوس ٤: ٤. وبوجه عام، تُشيرُ كلمة "طوف" (Πῶς) في اللغة العبرية وكلمة "آجاثوس" (ἀγαθός) في اللغة اليونانية إلى استحسان شخصٍ أو شيءٍ ما. وهكذا، يمكن أن توصف جوانب كثيرة من الخليفة بأنها "حسنة" أو سالحة. وبالطبع، إن صلاح الخليفة محدود، وزمني، ومتغير، لكن صلاح الله في المقابل غير محدود، وسرمدي، وغير متغير. عندما يقول الكتاب المقدس إن الله "صالح"، فهو يعني أنه يستحق التقدير والإكرام على نحو غير محدود، وأبدي، وغير متغير. وعندما نقول هذا، فلا بد أن نُضيف في الحال بأنه لا يوجد مقدار للصلاح لا بد أن يصل إليه الله خارج نفسه. فالله هو تعريف الصلاح ذاته. وكما تقول الفقرة الأولى من إقرار الإيمان البلجيكي، إن الله كامل "الصلاح، وهو النبعُ الفاضلُ لكلِّ صلاح".

في اللاهوت النظامي، تُوجدُ صلةٌ وثيقةٌ بين صلاح الله والعديد من التعاليم الكتابية المألوفة. لكن من المفيد أن نتناول الأمر من حيث فئتين رئيسيتين: صلاح الله المباشر وصلاح الله غير المباشر.

من جهة، حين نتحدث عن صلاح الله المباشر فإن ما يدور في أذهاننا هو صلاح الله

الظاهر في أشياء مثل إحسانه، ورحمته، ومحبته، وصبره على مخلوقاته. على سبيل المثال، يتحدث المزمور ٣٤: ٨ عن إحسان الله باعتباره برهاناً على صلاحه حين يقول: "ذوقوا وأنظروا ما أطيب الرب!". كما أن صلاح الله مرتبط برحمته ورأفته في سفر الخروج ٣٣: ١٩ حيث قال الله لموسى: "سأجعل كل صلاح يَمُرُّ مِن أَمَامِكَ... فَأَنَا أَتَحَنَّنُ عَلَى مَنْ أَسَاءُ أَنْ أَتَحَنَّنَ عَلَيْهِ، وَأَرْحَمُ مَنْ أَسَاءُ أَنْ أَرْحَمَهُ" (الترجمة العربية المبسطة). ويتحدث المزمور ٢٥: ٧ عن محبة الله الفاضلة من صلاحه إذ يقول: "أذكري بِرَحْمَتِكَ، لِأَنَّكَ صَالِحٌ يَا اللَّهُ" (الترجمة العربية المبسطة).

كما تشير نصوص أخرى مثل المزمور ٢٣: ٦؛ والمزمور ٧٣: ١؛ والمزمور ١٤٥: ٩، ١٥-١٦ وإنجيل مرقس ١٠: ١٨ بطرائق متنوعة إلى صلاح الله. إلا أن أكثر استعلان مباشر لصلاح الله غير المحدود، والسرمدية، وغير المتغير هو في محبة السرمدية للمسيح ولجميع من هم في المسيح. كما يقول بولس في رسالة أفسس ١: ١٤-١٦

كَمَا اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قَدَيْسِينَ وَبِلَا لَوْمٍ قَدَامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ، إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَا لِلتَّبَنِّي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ، حَسَبَ مَسَرَّةٍ مَشِيئَتِهِ، لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيْنَا فِي الْمَحْبُوبِ (أفسس ١: ١٤-١٦)

كما يوضح السياق الأوسع لهذه الآيات، إن تعييننا للتبني كان في المحبة، أي محبة الله لنا من قبل تأسيس العالم. هذه المحبة الأزلية من الله لشعبه هي في المسيح، في المحبوب. فإن محبة الله لمن هم في المسيح يرجع أصلها إلى محبة الآب غير المحدودة، والسرمدية، وغير المتغيرة لابنه.

يُخْبِرُنَا الْكِتَابُ الْمَقْدَسُ بِالكَثِيرِ عَنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ لَنَا. فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّنَا بِطَرَقٍ كَثِيرَةٍ، وَهُوَ يُظْهِرُ لَنَا هَذِهِ الْمَحَبَّةَ بِطَرَقٍ كَثِيرَةٍ. لَكِنْ مَعَ ذَلِكَ، الْكِتَابُ الْمَقْدَسُ وَاضِحٌ فِي كَوْنِ اللَّهِ يُظْهِرُ مَحَبَّةَ لَنَا بِشَكْلِ قَاطِعٍ وَمُطْلَقٍ مِنْ خِلَالِ الْكَيْفِيَّةِ الَّتِي أَرْسَلَ بِهَا ابْنَهُ الْوَحِيدَ إِلَيْنَا. يَقُولُ يُوحَنَّا ٣: ١٦ "لِأَنَّهُ هَكَذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَدَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدِ". فَإِنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ إِذْ تَظْهِرُ بِشَكْلِ فَائِقٍ فِي مَنْحِ الْإِبْنِ لِلْعَالَمِ كِي يَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ. لَكِنْ لَا بَدَّ إِلَّا نَتَوَقَّفَ عِنْدَ هَذَا الْحَدِّ لِأَنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ تَتَبَرَّهْنَ مِنْ خِلَالِ الْعَمَلِ الَّذِي لِأَجْلِهِ بَدَلَ الْآبِ الْإِبْنِ، فَقَدْ جَاءَ الْإِبْنُ كِي يَكُونَ ذَبِيحَةً عَنْ خَطَايَانَا. وَفِي حَقِيقَةِ الْأَمْرِ، نَحْنُ لَسْنَا مَنْ أَحْبَبْنَا اللَّهَ، بَلِ اللَّهُ أَحْبَبَنَا وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كِفَارَةً لِخَطَايَانَا.

وهكذا، لا بدّ لهذا أن يُشددنا كثيراً. وفي الحقيقة، يتناول بولس هذا الأمر في رومية ٨ ويشجّعنا بهذه الكلمات: "الَّذِي لَمْ يُشْفَقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لِأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لَا يَهْبِنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟" وهكذا، فإنّ الله قد بيّن لنا على نحو قاطع، ومُطلق، وفائق، الكيفية التي أحببنا بها في بذله لابنه. ولذلك لا بدّ وأن نتكلّ عليه ونتيقن من أنه يحبنا بالفعل.

— د. براندون كرو

من ناحيةٍ أخرى، يلفتُ الكتابُ المقدسُ انتباهنا أيضاً إلى السمة غير المحدودة، والسرمديّة، وغير المتغيرة في صلاح الله من خلال التركيز على صلاح الله غير المباشر. وما نقصده بهذا هو اليقين في أن الله سيجلبُ الخير ولو من خلال الضيق والتجارب التي تصيبُ خليقته وقتياً. فإن أحدَ أعظم التحديات للإيمان بصلاح الله هو وجودُ الشرِّ في خليقته. إلا أن كُتَبَةَ الكتاب المقدسِ أصرّوا على أن كمالَ صلاحِ الله سيجلبُ الخيرَ من الشرِّ. على سبيل المثال، تخبرنا رسالة يعقوب ١: ١٧ بأن التجارب الصعبة هي لخيرنا لأن "كُلُّ عَطِيَّةٍ صَالِحَةٍ وَكُلُّ مَوْهَبَةٍ تَامَّةٍ هِيَ مِنْ فَوْقُ، نَارِلَةٌ مِنْ عِنْدِ أَبِي الْأَنْوَارِ." كما طمأن بولس المؤمنين في رومية في رسالة رومية ٨: ٢٨ وقال: "وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الْأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللَّهَ."

بعدُ مُرورنا على وجهات النظر الكتابية المرتبطة بكلّ من كينونة الله، وحكمته، وقوته، وقداسته، وعدله، وصلاحه، نأتي الآن إلى أمانة الله. وتعدُّ هذه الصفة هي الأخيرة في صفات الله القابلة للمشاركة المذكورة في دليل وستمنستر المُوجز.

الأمانة

يشيرُ كلُّ من الكتاب المقدس والإعلان العامّ بوضوح، ومن عدة جوانب، إلى أن الأمانة هي صفةٌ قابلةٌ للمشاركة. فإن مخلوقاتِ الله العاقلة والأدبية يمكنُ أن تكونَ صادقةً، وأمينَةً، وجديرةً بالثقة، ومخلصةً. فإن مفهومَ أمانةِ وصدقِ الله مُشتقٌّ من مجموعةِ المصطلحاتِ العبريةِ المرتبطةِ بفعلِ "أمن" (אַמַן)، الذي عادةً ما يُترجمُ "أن تكونَ على يقينٍ"، "مؤكدًا"، أو "صحيحًا"، وأيضًا من المصطلح الشهير "حيسيد" (חֵסֵד) الذي عادةً ما يُترجمُ "أمانة" أو "لطفًا". يأتي أيضاً هذا المفهومُ من المصطلحاتِ اليونانيةِ في العهد الجديد المرتبطةِ بكلمةِ "ألِيثيا" (ἀλήθεια)، وكلمةِ "بيستيس" (πίστις). تعني هذه المصطلحاتُ الكتابيةُ الصحة، والصدق، والمصادقية، والأمانة. ويُمكنُ لمخلوقاتِ الله أن تُظهرَ هذه الصفاتِ، لكن فقط على نحوٍ محدودٍ، وزمنيٍّ، ومُتغيرٍ. وفي المقابل، إن

أمانةً وصدقَ الله غيرَ محدودٍ، وسرمديٍّ، وغيرَ متغيِّرٍ. تأملَ بولسُ في صفةِ أمانةِ وصدقِ الله التي لا يضاهاها شيءٌ في رسالةِ روميةٍ ٣: ٤، حينَ قالَ:

لِيَكُنِ اللهُ صَادِقًا وَكُلُّ إِنْسَانٍ كَاذِبًا (رومية ٤: ٣)

سلطَ علماءُ اللاهوتِ النظاميِّ بوجهِ عامٍّ الضوءَ على هذه الصفةِ التي تميزُ الله من جانبيين. فاللهُ هو المصدرُ الأمينُ للحقِّ، وهو أيضًا أمينٌ من جهةٍ وعودِهِ. من ناحيةٍ، يتمجدُ اللهُ باعتباره المصدرَ الأمينَ للحقِّ. في المزمورِ ١١٩: ٤٣، تحدثَ كاتبُ المزمورِ عن كلمةِ الله على أنها "كلامُ الحقِّ". وفي هذا المزمورِ نفسه، في العددِ ١٤٢، صرحَ الكاتبُ بكلِّ ثقةٍ: "شَرِيعَتُكَ حَقٌّ". ويُعدُّ المزمورُ ٢٥: ١٥ صلاةً موجهةً لله "تَرَبَّنِي فِي حَقِّكَ وَعَلَّمْنِي". وفي إنجيلِ يوحنا ٨: ٣٢، شرحَ يسوعُ لتلاميذه أنهم إن ثبتوا في تعليمِهِ حينئذٍ سوفَ "يعرفونَ الحَقَّ"، وَالْحَقُّ يُحَرِّرُهُمْ". وفي إنجيلِ يوحنا ١٦: ١٣، وَعَدَّ المسيحُ رسَلَهُ بأنَّ "رُوحَ الحَقِّ... يُرْسِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الحَقِّ". وفي إنجيلِ يوحنا ١٧: ١٧، صلى يسوعُ إلى الآبِ قائلاً: "قَدَّسَهُمْ فِي حَقِّكَ. كَلَامُكَ هُوَ حَقٌّ". وهكذا يبيِّنُ الكتابُ المقدسُ بهذه الطرائقِ وبطرائقٍ أخرى أنه حينَ يُعلنُ اللهُ الحَقَّ، فهذا الحَقُّ جديرٌ بالثقةِ تمامًا لأنَّ من طبيعةِ اللهِ أن يكونَ أمينًا وصادقًا.

من جهةٍ أخرى، اللهُ أيضًا يُعدُّ صادقًا أو أمينًا على نحوٍ غيرِ محدودٍ، وسرمديٍّ، وغيرِ مُتغيِّرٍ تُجاهَ وعودِهِ. فإنَّ اللهُ يُعتمدُ عليه في أن يفيَ بجميعِ وعودِهِ. وعلينا أن نحترسَ في هذا الشأنِ. ففي كثيرٍ من الأحيانِ في الكتابِ المقدسِ، ما قد يبدو أنه وعدٌ من الله هو في حقيقةِ الأمرِ عرضًا أو تهديدًا من الله يحوي شروطًا ضمنيةً. إن لم يتم استيفاءُ هذه الشروطِ الضمنيةِ، فإنَّ عرضَ اللهِ أو تهديدَهُ لا يتحققان. لكن كما كتب بولسُ في رسالةِ تيطس ١: ٢، "اللهُ الْمُتَرَبِّسُ عَنِ الكُذْبِ". فإن قطعَ اللهُ وعدًا، فهو سيفي به. ويشيرُ سفرُ العددِ ٢٣: ١٩؛ والمزمورِ ٣٣: ٤؛ ورسالةِ العبرانيين ٦: ١٨ والعديدِ من النصوصِ الأخرى إلى وفاءِ اللهِ الأمينِ بجميعِ الوعودِ. ليس بالشيءِ المفاجئِ إذنَ أن يقدمَ سفرُ رؤيا يوحنا ١٣: ١٧ المسيحَ الممجدَّ بأنه "الشَّاهِدُ الأَمِينُ الصَّادِقُ، بَدَاءَةُ خَلِيقَةِ اللهِ".

لقد تطرقنا فقط إلى القليلِ من الأشياءِ الكثيرةِ التي يمكنُ أن نقولها بشأنِ هذا الجانبِ من عقيدةِ اللهِ. لكن دليلٌ وستمسترُ المَوْجَزُ يقدمُ لنا لمحاتٍ داخلَ اتساعِ وجهاتِ النظرِ الكتابيةِ التي لا بد أن نضعها في اعتبارنا في أثناءِ تعلُّمنا عن كمالاتِ اللهِ غيرِ القابلةِ للمشاركةِ. وكما رأينا فيما سبقَ، لا يقدمُ الكتابُ المقدسُ اللهُ على أنه غيرُ محدودٍ، وسرمديٍّ، وغيرِ متغيِّرٍ من بعضِ النواحيِ

فحسب، بل من جميع النواحي. فإنَّ كلَّ جانبٍ من جوانبِ جوهره يتجاوزُ أيَّةَ مقارنةٍ ولا يضاهيه شيءٌ. وبهذا، فإنَّ كلَّ صفةٍ من صفاتِ الله هي صفةٌ غيرُ قابلةٍ للمشاركةِ.

الخاتمة

في هذا الدرس، فُمنّا بالاطلاع على مدى اختلافِ الله عن خليفته من جانبين. أولاً، درسنا كيفيةَ تحديدِ صفاتِ الله غيرِ القابلةِ للمشاركةِ، ونظرنا إلى الأساسِ الكتابيِّ لتحديدِ كمالاته، والتنوعِ اللاهوتيِّ بينَ الإنجيليينَ في هذا الشأنِ، وأيضاً اتساعِ وجهاتِ النظرِ الكتابيةِ اللازمةِ لتحديدِ هذه الصفاتِ. كما استطلّعنا أيضاً اندماجَ صفاتِ الله غيرِ القابلةِ للمشاركةِ مع جميعِ كمالاتِ الله الأخرى من خلالِ تناوُلنا للأساسِ الكتابيِّ، والتنوعِ اللاهوتيِّ بينَ الإنجيليينَ، ومدى وجهاتِ النظرِ الكتابيةِ التي لا بد لنا أن نضعها في اعتبارنا فيما ننتبهُ هذه العملياتِ في كثير من الأحيان، لا يدرك أتباع المسيح أهمية التفكير الدقيق في صفاتِ الله غيرِ القابلةِ للمشاركةِ. إلا أنَّ معتقداتنا عن نواحي اختلافِ الله عن خليفته تُعد في غاية الأهمية بالنسبةِ للإيمانِ المسيحيِّ، حتى أنها تؤثر على جميعِ عقائدنا، وممارساتنا العمليةِ، واتجاهاتنا. فتستند الكثير من أركانِ العقيدة المسيحية على فهم سليم لكمالاتِ الله غيرِ القابلةِ للمشاركةِ. كما أن أعمالنا اليومية أيضاً تُوجَّه من خلال هذه الحقائق. كذلك تتأثر بشدة اتجاهاتنا من اتضاع، ويقين، وفرح، وعبادة أمام الله بما نؤمن به عن هذا الجانبِ من العقيدة عن الله. فإنَّ فهمنا لما يُعلِّمه الكتاب المقدس عن صفاتِ الله غيرِ القابلةِ للمشاركةِ، يُؤهلنا لكلِّ بُعد من أبعاد الخدمة الأمانة في المسيح.

ق. شريف جندي (المقدم) هو مدير قسم الإنتاج العربي في خدمات الألفية الثالثة. وهو حاصل على ماجستير في العلوم اللاهوتية (M.Div.)، وماجستير في الدراسات الكتابية (MAR)، ويقوم حالياً بدراسة الدكتوراه في فلسفة اللاهوت (Ph.D.) لعلم التفسير الكتابي في تخصص العهد القديم.

د. فنسنت باكوت هو أستاذ مشارك للاهوت النظامي ومدير مركز الأخلاقيات المسيحية التطبيقية بجامعة وكلية ويتون للدراسات العليا.

د. براندون كرو هو أستاذ مساعد للعهد الجديد بكلية وستمنستر للاهوت.

د. ويليام إدجار هو أستاذ الدفاعيات بكلية وستمنستر للاهوت.

د. مات فريدمان هو أستاذ الكرازة والتلمذة بكلية ويسلي الكتابية للاهوت.

ق. دان هاندلي هو الراعي الرئيسي لكنيسة نورث بارك في ويكسفورد، بنسلفانيا.

ق. كليت هوكس هو مدير مركز موارد الدفاعيات في برمنجهام، ألاباما.

د. ريتشارد لنتس هو أستاذ اللاهوت ونائب الرئيس للشئون الأكاديمية بكلية جوردون كونيول للاهوت.

د. آر. تود مانجم هو أستاذ اللاهوت والعميد الأكاديمي بكلية اللاهوت الكتابية.

د. جوش مودي هو الراعي الرئيسي لكنيسة كولدج في ويتون، إيلينوي.

د. جفري مور خدم كالراعي الرئيسي لكنيسة ترينتي داونتاون، أورلاندو في الفترة من ٢٠٠٣ إلى ٢٠١٤.

ق. د. پول ر. رابي هو أستاذ اللاهوت التفسيري بكلية كونكورديا للاهوت.

د. فيليب راكين هو مدير جامعة ويتون.

د. تيم سانسبوري هو أستاذ مساعد للفلسفة واللاهوت ونائب الرئيس للشئون الإدارية بكلية نوكس للاهوت.